هذه بلادنا

(٤)



فرسان

تأليف

إبراهيم عبد الله مفتاح

الرئاسة العامة لرعاية الشباب

هذه بلادنا

(٤)

فر‐ ن

تأليف

إبراهيم عبد الله مفتاح

الطبعة الثانية

الرئاسة العامة لرعاية الشباب

وكالة شؤون الشباب

الادارة العامة للنشاطات الثقافية

الرياض ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

هـذا الكتـاب

يسعدني أن أقدم باكورة الإنتاج في سلسلة كتب (هذه بلادنا) التي تهدف الرئاسة من ورائها إلى إمداد المكتبة السعودية بالمؤلفات الوطنية التي تبرز تاريخ الـوطن في سلسلة من الكتب العلمية المبسـطة وتعمـل على تسجيل الـتراث الفكـري والفني والعـادات والتقاليد في المملكة. . . هذا بالإضافة إلى كونها تجميعا لنشاط المحاضرات الذي تقوم بتنفيذه الإدارة العامة للنشاطات الثقافية .

ولعلنـا بهذا العمـل نساهم في تشجيع البحث والباحثين لربط الماضي بالحاضر وتسجيل ما طرأ عليه من معطيات العصر الحديث لتكون نبراسا هاديا لشباب الغد وتقديم ما يساعدهم على معرفة الحقائق ويجعلهم يفخرون بما قدمه السلف وإتاحة الفرصة لهم لصنع مستقبل بلادهم . . .

ومن حسن حظ الباحث في هذه الأيام وفرة المراجع والمعاجم التي تساعده على تلمس الـطريق وتـوفـر له الـوقت وتسهل له مهمة البحث ليصل إلى ما يريد. . . وذلك بعكس ما كان عليه الحال في الأجيال القريبة الماضية حيث كان المؤرخون يجوبون البلاد من مشرقها إلى مغربها في سبيل الحصول على أية معلومة عن تاريخ بلادهم ، وكثيرا ما كانوا يأخذون الحقائق من أفواه الشعراء وآثارهم وذلك لندرة المصادر المباشرة التي تتحدث عن أي بلد من البلدان أو موقع من المواقع . . .

وإنه من الأفضل لأي أمة من الأمم أن تكتب تاريخها بنفسها عن طريق أبنائها المخلصين الذين أتيحت لهم فرصة التعلم والوصول إلى أرقى الدرجات

العلمية وذلك بالرجوع إلى أمهات الكتب والبحث والتنقيب في المعاجم والاستفسار والتمحيص بالاتصال بالمعمرين من أبناء هذه البلاد وبذلك نستطيع الكتابة عن أي جزء من أجزاء الوطن بصورة مبسطة ومباشرة تساعد الأجيال القادمة على التعرف على تاريخ أمتهم دون تعب أو عناء. . .

وإنني أتمنى لهذه السلسلة النمو والازدهار. وللإدارة العامة للنشاطات الثقافية التي تقوم بإصدارها التوفيق والنجاح. ، ، ،

الرئيس العام لرعاية الشباب
فيصل بن فهد بن عبدالعزيز

سلسلة كتب (هذه بلادنا)

هذه السلسلة هي مجموعة من الكتب ليس المقصود منها مجرد النشر فقط، ولكنها جاءت امتدادا طبيعيا لنشاط الإدارة العامة للنشاطات الثقافية في مجال المحاضرات . . . فقد عملت الإدارة على تنويع برامج المحاضرات، واختارت من الموضوعات الشيقة ما يهم كافة المواطنين، وليس هناك من شك في أن كل إنسان يشعر بالحنين إلى البقعة التي نشأ فيها ويهمه أن يتبين تاريخها . . . فإن كان صغيرا يهمه أن يعرف أمجاد بلاده وتاريخ أسلافه، وإن كان كبيرا فإن حديث الذكريات يشجيه ويذكره بأفراحه وأتراحه ومراتع صباه، ومن هنا كان اختيار تاريخ البلاد موضوعا لتلك المحاضرات التي سيتم تجميعها في سلسلة من الكتب إن شاء الله .

وسوف يحتوي كل كتاب من هذه السلسلة على بحث قام بإعداده أحد المتخصصين يتحدث فيه عن تاريخ بلدة أو إقليم من البلدان وطننا الحبيب وعن أهمية تلك البلدة وتقاليدها التراثية وعاداتها وأنواع الفنون بها وملامح النهضة العمرانية والزراعية وأوجه الحياة فيها وذلك بعد الرجوع إلى المراجع التي تحدثت عن الموضوع والالتقاء بأهل البلدة من المعمرين والشيوخ في سلسلة من المحاضرات والندوات ودارت حولها المناقشات ثم تأتي مرحلة تجميع هذا البحث على ضوء المناقشات ويتم عرضه قبل طباعته على بعض ذوي الاختصاص من مؤلفي المعاجم لمراجعته وإجازته .

وتهدف الإدارة من وراء ذلك إلى تطوير برامج المحاضرات وتشجيع ملكة البحث والتأليف وإمداد المكتبة السعودية بالمؤلفات الوطنية وإبراز تاريخ المملكة في سلسلة من الكتب العلمية المبسطة تسجل التراث الفكري والفني في أرجاء الوطن .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

الادارة العامة للنشاطات الثقافية

تقديم

هذا الكتاب وما في حكمه مما ألف أو سيؤلف عن مدن أو قرى منفصلة أو متصلة بقرى أخرى مجاورة لها . . ولما تكهتها الخاصة بها في وضعها الاجتماعي أو طبيعتها الجغرافية أو التاريخية أو القبلية أو ما إلى ذلك مما هو محدود المساحة أو المسافة أرضاً وزماناً كهذا الكتاب الذي بين أيدينا عن («فرسان» جزائر اللؤلؤ والأسماك المهاجرة) ـ أقول إن هذا الكتاب وأمثاله لا يقل فائدة ومتعة عن المعاجم الجغرافية لمناطق المملكة . . بل لعل حصر جهد الباحث في رقعة ضيقة من المكان تجعله اكثر استقصاء ودقة فيما يورد من معلومات . . إضافة إلى ما تمتاز به هذه الدراسات من معلومات طريفة عن العادات والتقاليد وشئون الحياة العامة التي قل أن ترد في المعاجم الجغرافية . وقد ترد في الكتب التاريخية بقدر أكبر إذا قدر لهذه المدينة أو تلك أن تجد من يكتب تاريخها بصدق ووعي وحياد .

ومن هنا أجد أن هذه الكتب التي شجعتها وتبنتها الرئاسة العامة لرعاية الشباب ستكون ذا نفع وفائدة مضاعفة للباحثين الجغرافيين والجيولوجيين والمؤرخين ورجال الفكر والأدب . . ذلك أن هذه الكتب تستطيع إمدادهم بمعلومات أوفر وأكثر دقة وبخاصة عن العادات والتقاليد السائدة وعن دقائق الحياة الشعبية العامة في هذا الجزء الصغير من وطننا الكبير . . وهذا لا يعني التقليل من قيمة المعاجم الجغرافية التي خرجت في بلادنا وما هو في طريقه للخروج وإنما أعني أن هذه الكتب الصغيرة في ذاتها ومحدودية المكان أو الموضع الذي تتحدث عنه ـ ستكون عوناً جيداً للباحثين والمؤرخين والأدباء وغيرهم في تكوين الصورة الواقعية للبلاد تفصيلياً ـ نسبياً ـ وتعريفها لكل مواطن في كل مكان من بلاده . . والتعارف سبيل إلى التآلف ـ فيما اعتقد ـ ولئن أفضلت الرئاسة العامة لرعاية الشباب بإحالة بعض

هذه الدراسات إلي لتقييمها وتقويمها إن هي احتاجت إلى تقويم ولإبداء رأيي في مدى صلاحيتها للنشر من عدم ذلك - فإنها من حيث قصدت أولم تقصد قد أتاحت لي فرصة التعرف بشكل أكثر دقة وتفصيلاً عن المدن والقرى والأماكن التي كتبت عنها هذه الدراسات . . وبذلك أكون قد استفدت من هذه المعلومات وعشت معها جلسات ممتعة من القراءة المفيدة ولا بد أن القراء وبخاصة من يهتمون بمثل هذه الدراسات سوف يستفيدون كذلك من قراءة هذا الكتاب وأمثاله . ولا سيما أن المؤلف الأستاذ إبراهيم عبدالله مفتاح قد صاغـه بأسلوب أدبي رائق ، أسلوب الأديب الشاعر وضمنه معلومات في غاية الأهمية والطرافة معا عن جزر (فرسان) التي لا يعرف كثير من المواطنين عنها إلا أنها كانت «منفى» للرجال الذين كانوا يمثلون خطراً على الأمن العام في عهود سابقة . وإن لم تكن في شهرة جزر «سانت هيلانه» التي جعلتها بريطانيا «منفى» لبعض الزعماء من مستعمراتها .

ولقد بذل الأستاذ إبراهيم مفتاح جهداً كبيراً يشكر عليه في إعطاء الدراسة كثيراً من جوانبها الشمولية تاريخيا ، وجغرافيا ، وأدبياً ، واجتماعياً ، مما أضفى عليها كثيراً من المتعة والفائدة للقارىء والباحث ، وأورد نماذج شعرية من شعر شعراء (فرسان) الفصيحة والعامية . وقد لفت نظري غرابة بعض الكلمات الشعبية التي تضمنها الشعر الشعبي . . وجاءت فيه عبارات وكلمات غير مفهومة بالنسبة لي ولعلها كذلك لغيري . . بل إن المؤلف عجز عن إرجاع معاني تلك الكلمات إلى أصل فصيح يفسرها ومن ذلك ما جاء في عنوان «التَّذْرِيَه» والقصيدة الشعبية التي تتغنى بها النساء الفرسانيات عند الظهيرة اشتياقا ولوعة وحنينا إلى الإبن أو الأب أو الأخ أو الزوج الغائب في البحر لطلب الرزق ومنها هذا المقطع :

«والي بيادوه»	والي بسيدى
حان الوقت حان	تحميل وشدان
والسبادرة زان	«والي بيادوه»
«درهت» ظهري	من ضيق صدرى
من غيبة أهلي	«والى بيادوه» . . الخ

فهذان تعبيران شائعان في جزر فرسان لم يستطع المؤلف أن يعرف معناهما لغويا . . وهما

«التدريه» من قولهن «دَرَّهْتْ ظهري» وشطر البيت الذي يقول: «والى يبادوه»!

لا اعتقد أن جزر فرسان تعدم من يعرف معاني مثل هذه الكلمات ولا سيما كبار السن من المعنيين بالشعر الشعبي؟ وهذا كمثال على غرابة بعض الكلمات واستعصائها على الفهم في هذا الجزء العزيز من وطننا الكبير.

فلو بذل المؤلف جهداً أكبر في إرجاع الكلمات العامية الغريبة إلى أصولها العربية الفصيحة لأمكن له ذلك ولساهم في تقريب اللهجة المحلية للفرسانيين من اللهجات المحلية الأخرى في سبيل ما هو أكبر، ولو بعد زمن طويل، في صهر هذه اللهجات ـ ولو إلى حد ما في لهجة شعبية متقاربة أو رفع أكثرية الناطقين بتلك اللهجات إلى مستوى اللهجات الفصيحة.

ونسأل الله مزيد التوفيق والسداد للجميع

عبدالله بن عبدالعزيز بن أدريس
الرياض

مقدمة

* حين تذكر الجزر تتداعى إلى ذهن الإنسان عديد من الصور المتباينة والأخيلة المدهشة والرؤى العميقة والأحلام العجيبة.

* هذا التداعي هو محصلة تاريخية لعلاقة الإنسان بالبحر كمصدر من مصادر رزقه . . ووسيلة من وسائل الاتصال القديمة قبل أن تعرف الطائرة والقطار والسيارة.

* لقد ارتبط تاريخ الجزر بمجموعة من الأساطير المثيرة لخيالات الإنسان وتطلعاته للبحث عن المجهول المحفوف بالمخاطر والأهوال والخرافة فتصور الجزر المسحورة . . والجزر المسكونة بالعفاريت والجن والمخلوقات الغريبة.

وفي بلاد اليونان . . حيث تكثر الجزر الجميلة الهادئة، كانت هذه الجزر مطمحاً للفلاسفة والمفكرين هرباً من المضايقات التي يلقونها من شعوبهم وحكامهم.

* ليس هذا فحسب . . بل ارتبط تاريخ الجزر حديثاً بحركة الكشوف الجغرافية . . . ورحلات المغامرين الباحثين عن الأحجار الكريمة . . ومناجم الذهب، والمعادن الأخرى . . وبرزت أهميتها من خلال رحلات المكتشفين أمثال «كريستوفر كولومبوس» و «فاسكودي جاما» و «ابن ماجد» البحار العربي.

* وليست قصة «روبنسون كروزو» إلا صورة من تخيلات الإنسان وطموحاته لحياة جديدة، وأرض غير معروفة، ورغبته في ارتياد المجهول لتحقيق نزعاته.

* وكان البحر بما يحتويه من مغانم وكنوز ليس أقلها «اللؤلؤ» الذي كان يمثل تجارة مرموقة تقود إلى الثراء الواسع سبباً في ظهور «القراصنة» حيث برز عدد كبير منهم ملأوا حياة البحر هلعاً ورعباً في غياب النظام والأمن اللذين دعت إليهما فيما بعد القوانين والمعاهدات الدولية المصحوبة بوسائل الردع ومكافحة ظاهرة القرصنة لتوفير الأمن لرواد البحر من ناحية وتنظيم عملية استثمار مصادر البحر ومغانمه من ناحية أخرى.

* وأنا في هذا الكتاب عن «جزائر فرسان» لا أرصد تاريخ البحر والجزر وما تخلل هذا التاريخ من أساطير.. وأحلام.. ورؤى.. وأحداث، وإنما استعيد صوراً كانت في يوم من الأيام تحتل واجهة أحداث الإنسان اليومية قبل أن يعرف الحروب الساخنة، والباردة وظاهرة الاستعمار.. والقهر والاستبداد.. والاستيطان القسري والقتل الجماعي.. والغازات السامة وتلوث البيئة في ظل القوانين والمعاهدات والاتفاقيات الدولية.. هذه الأمور التي قضت على ظاهرة القرصنة غير المنظمة لتحل محلها القرصنة المنظمة التي تميز بها عصرنا وعانت منها أمم كثيرة في مختلف بقاع الأرض على مسمع ومرأى من المجتمع الدولي الذي تضيع استنكاراته واحتجاجاته وسط دوي المدافع وتفجيرات القنابل وسيطرة القوي على الضعيف المغلوب على أمره.

*هذه مجرد تداعيات تواردت على خاطري وأنا اعتزم الكتابة عن جزء من أجزاء وطننا الغالي. هذا الجزء هو «جزائر فرسان» أكبر أرخبيل في البحر الأحمر في الطرف الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية.

فرسان ذات الشواطئ الغنية
بمصايد اللؤلؤ والغنية
بمزارع المحار الطبيعية

الموقع الجغرافي



تشكل جزيرة فرسان والمجموعة التابعة لها أرخبيلاً من الجزر المتناثرة المتقاربة تقع في الطرف الجنوبي الشرقي للبحر الأحمر وعلى بعد خمسين كيلومتراً إلى الجنوب الغربي من مدينة جيزان في مملكتنا العربية السعودية، وعلى بعد يزيد قليلاً عن مائة كيلو تقريباً عن الساحل الغربي للبحر الأحمر والمطل على البر الأفريقي حيث تقابلها على ذلك الجانب جزائر «دهلك» ذوات الشواطىء الغنية بمصايد «اللؤلؤ» والتي كانت في يوم من الأيام مصدراً من مصادر الرزق لسكان جزائر فرسان وجيزان وكذلك سكان المدن الساحلية اليمنية. حيث يزاولون مهنة الغوص بحثاً عن اللآلىء في المصايد الواقعة بالقرب من شواطىء تلك الجزر كما قدمنا، كما يزاولونه على شواطىء فرسان نفسها والتي ما تزال غنية بمزارع المحار الطبيعية حتى يومنا هذا.

وعلى الرغم من عدم وجود مسافة كبيرة تفصل بين جزائر فرسان ومدينة جيزان أو بتعبير أصح «منطقة جيزان» فإن التكوينات الطبيعية بينهما تختلف اختلافاً تاماً.

فبينما نجد أن الصخور البركانية والسهول الساحلية الخصبة تغلب على طبيعة أرض المنطقة نجد أن جزر فرسان تغلب على أرضها الشعاب المرجانية والقواقع والكائنات البحرية المتحجرة، وذلك ما يدل بوضوح على أن هذه الجزر كانت حتى عهد قريب مغمورة تحت مياه البحر، وأن عمرها الجيولوجي عمر حديث.

وحسب ما يقول الدكتور عبدالله الدباغ ـ أحد أساتذة الجيولوجيا في جامعة البترول والمعادن بالظهران ـ : إن العمر الجيولوجي لجزائر فرسان عمر حديث يتراوح بين ثلاث ملايين وثلاث ملايين وخمسمائة ألف سنة تقريباً.

وحسب ما يذكر الدكتور الدباغ ـ الذي زار فرسان قبل سنوات مع مجموعة من الأساتذة الأجانب المتخصصين في علم الجيولوجيا ـ إن ثلاث ملايين أو ثلاث ملايين ونصف المليون من السنين يعتبر عمراً جيولوجياً حديثاً إذا قيس بالزمن التاريخي الذي يتعامل به الإنسان.

لكن ما وضعني في حيرة حقاً أمام أقوال الجيولوجيين هو ما نشرته جريدة «الشرق الأوسط» في عددها ١١٨٩ الصادر في يوم الأثنين ١/٣/١٩٨٢م الموافق ٦ جمادى الأولى ١٤٠٢هـ تحت عنوان: «مصر مقبلة على سلسلة من الزلازل» جاء في جزء منه ما يلي: «ويقول الدكتور عبدالله المغربي: إن أسوان ليست منطقة زلازل فهي منطقة صخرية في تركيبها الجيولوجي، وهي أكثر أمناً من منطقة «الدلتا» مثلاً.

والمعروف أن قشرة أرضية البحر الأحمر تعتبر بالقياس الجيولوجي منطقة حديثة لم تستقر بعد رغم أن عمرها تجاوز مليوني سنة وما زالت تبحث عن الاستقرار. انتهى

هذه السطور الأخيرة جعلتني أحتار بين كلام الدكتور الدباغ والدكتور المغربي لأن الفارق كبير جداً يصل إلى ملايين السنين ثم أن ذلك وضع أمامي سؤالاً هو: هل برزت

هذه الجزر إبان تكون أرضية البحر الأحمر؟ أم أن ذلك حدث بعد مرور زمن جيولوجي يعلم الله مداه؟

هذا السؤال تجيب عليه طبيعة أرضية هذه الجزر، إذ أن الشواهد كلها تدل على أنها برزت بعد أن تكون البحر الأحمر الذي يعتبره العلماء حديثاً نسبياً، وهذا واضح من الكائنات البحرية والقواقع المتحجرة التي تثبت ـ بدون أدنى شك ـ أنها كانت مغمورة ـ ولمدة طويلة ـ تحت مياه البحر.

وشكل جزيرة فرسان يميل إلى الطول وامتدادها يأتي من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي ويغلب عليها الانحناء إلى الجنوب وتحيط بها مجموعة من الجزر الأخرى أكبرها جزيرة «السجيد» أو فرسان الصغرى كما هو معروف جغرافيا. هذه الجزيرة يفصل بينها وبين فرسان الكبرى ممر مائي لا يزيد عرضه عن ثلاثمائة متر، ويسميه الفرسانيون «المعادي» لأن الجمال تستطيع أن تعدومنه عندما ينتقل الأهلون من السجيد وإليها ويتم ذلك في حالة الجَزْر البحري.

ويبلغ طول جزيرة فرسان من جنوبها الشرقي إلى نهايتها في شمالها الغربي حوالي خمسة وسبعين كيلومتراً. أما متوسط عرضها فيبلغ حوالي ثلاثين كيلومتراً.

وقد أشار إليها الأستاذ محمد أحمد العقيلي في كتابه «المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان» صفحة ١٢٥ تحت عنوان «جزيرة فرسان» فقال:

جزيرة فرسان من أكبر جزر البحر الأحمر مساحة إن لم تكن أكبرها مساحة وأكثرها سكاناً وأخصبها تربة، وموقعها بين خطي العرض ٥ر١٦° ، ٥ر١٧° وخطي الطول ٤١° ، ٤٢° تقريباً. تبعد عن مدينة جازان غرباً خمسين ميلاً بحرياً[1] وأطول جهة فيها هي من مرسى الخور شرقاً[2] إلى طرف صَبِر غرباً ٧٥ كيلاً ويقصر في غيرهما إلى ٤٠ ، ٣٥ ،

---

(١) في بداية الكتاب ٥ كيلو

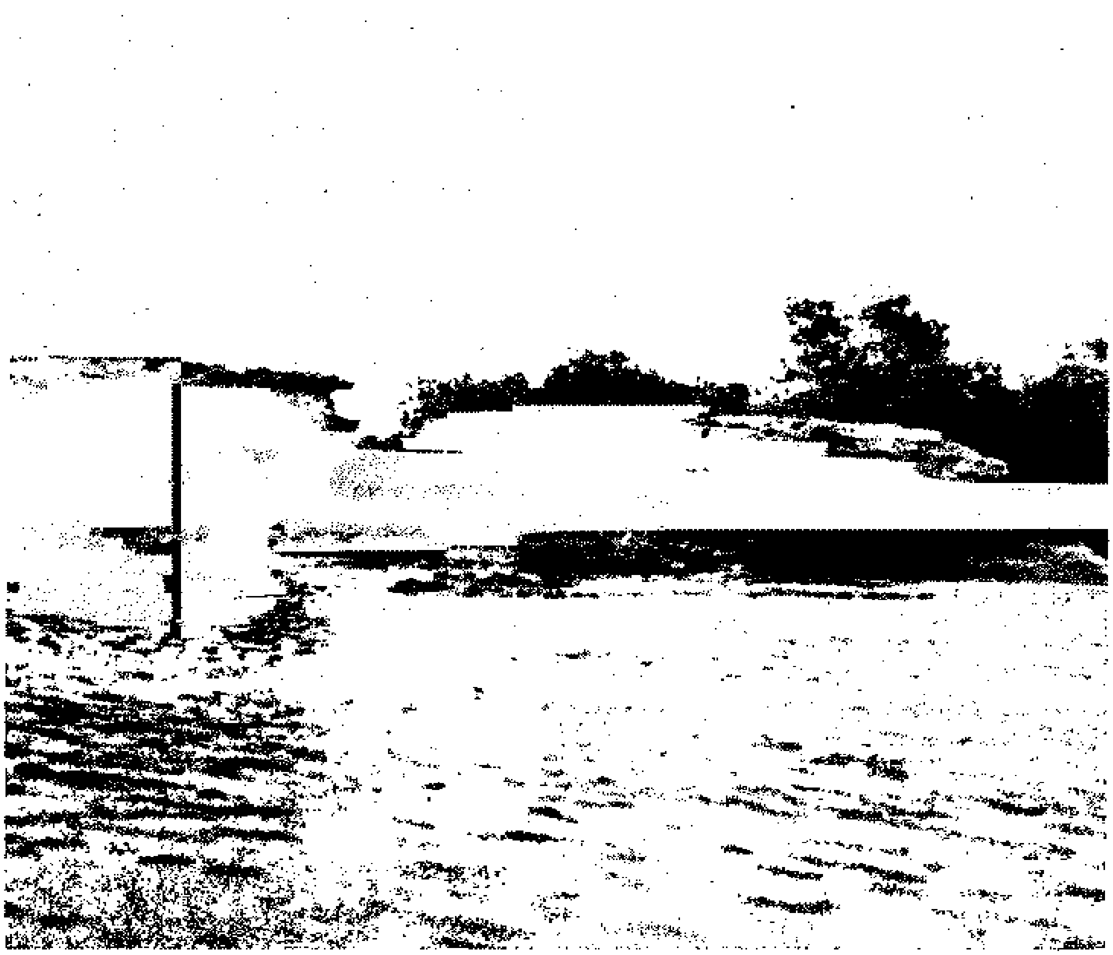
(٢) الصحيح من رأس جبل البقر

٣٠ كيلاً .
وأعرض جهة هي فيما بين «رأس عَبْرة» إلى مرسى «الجص» ٤٠ كيلاً . ويقصر في غيرهما إلى ٣٠ ، فلو اعتبرنا متوسط طولها ٣٥ وعرضها ٣٠ لبلغت مساحتها (١٠٥٠) كيلا مربعا ، وهي جزيرة صخرية يقدر عدد سكانها مع القرى التابعة لها ٤٦٠٠ نسمة تقريباً .

وتعليقي على ما ذكره الأستاذ العقيلي أنه لم يتعرض إلى أن عدد السكان كان يزيد كثيراً عن هذا الرقم عندما كان مواطنو هذه الجزر مستقرين وعندما كانت حياتهم تعتمد على منتجات البحر الذي كانوا يعتمدون عليه في حياتهم ، وقد تناقص عدد السكان بعد أن تركوا الاعتماد على البحر واتجهوا إلى مصادر العيش الأخرى في مختلف مدن المملكة ، وتبع ذلك هجرة كثيفة سعياً وراء الرزق ولقمة العيش ، وهذا ما دعاني إلى أن ألمح عن هذه الهجرة في قصيدة ألقيتها أمام صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية عندما زار فرسان .

والهاجرون دياراً كان يملؤها — صخب الحياة وأصوات المنادينا
أضحت تحن إلى الضوضاء ساحتها — وللأهازيج تحيي عهدها فينا
هذه المنازل في شوق لمن رحلوا — تدعو الإله بأشواق المحبينا
بأن يرد إلى السكنى أحبتها — ويجمع الشمل أزهاراً ونسرينا

ومن خصائص فرسان الطبيعية أنها تتمتع بشواطىء غاية في الروعة والجمال حيث تمتاز برمالها البيضاء الناصعة ومياهها الملونة الجذابة ، ومع أنني أحاول أن أكون بعيداً عن أن أبلل معلوماتي هذه بزخات من العاطفة إلا أنني أجد نفسي أقول : كم يطيب لإنسان هذا العصر أن يرتمي في أحضان هذه الشواطىء يذيب فيها أحزانه ويغسل بمياهها الصافية همومه ويدفن في رمالها الفضية البكر مشاكله وآهاته .



▲ احد المناظر الطبيعية المنتشرة في جزر فرسان.



الآثار في فرسان

من المؤسف جداً أنني - رغم محاولاتي - لم أجد عن فرسان من المراجع أو المصادر ما يشبع شهيتي من المعلومات التاريخية عن هذه الجزر ذات الموقع الاستراتيجي الحساس على الرغم من وجود شواهد كثيرة من آثارها تدل على أنها لم تعش على هامش التاريخ. يدلنا على ذلك ما فيها من آثار وكتابات تعود إلى تاريخ دولة «حمير» إحدى دول اليمن الثلاث الكبرى «سبأ» و«معين» و«حمير». أضف إلى ذلك أنه قد تحدث عنها ياقوت الحموي في كتابه «معجم البلدان» فقال كلاماً معناه: «أن جزر فرسان يسكنها قوم من قبائل تغلب، وأنهم كانوا قبل دخول الإسلام إليها يدينون بالنصرانية، وقد عرف سكان هذه الجزر بشدة البأس، وكانت تقوم حروب بينهم وبين قوم يدعون «بنومجيد» - بالقرب من باب المندب، وأن لهم رحلات وتجارة مع البلدان المجاورة لهم».

كما ذكر الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» فقال: «وفرسان قبيلة من تغلب وكانوا قديماً نصارى ولهم كنائس في جزائر فرسان قد خربت، وفيهم بأس، وقد يحاربهم بنومجيد، ويحملون التجارة إلى بلاد الحبشة، ولهم في السنة السفرة فينضم إليهم كثير من الناس، ونُسَّاب حمير يقولون إنهم من حمير» انتهى.

والبلدان المجاورة لهذه الجزر هي: اليمن، والحبشة، والسودان، وقد امتدت تجارة أهلها إلى بلاد الهند وبعض بلدان أوروبا كبريطانيا وفرنسا وإيطاليا كما سيأتي على ذلك فيما بعد.

ويوجد الآن في فرسان جبل يعرف بـ «جبل كنيسة» علل الأستاذ محمد أحمد العقيلي صاحب كتاب «المخلاف السليماني في التاريخ» في أحد أعداد «مجلة العرب» التي يصدرها أستاذنا «حمد الجاسر» علل وجود اسم ذلك الجبل والأثر الموجود عليه بأنه من بقايا النصرانية إلا أن هناك رأياً آخر سماعياً قد عزا ذلك إلى أن فرسان كان بها وجود برتغالي إبان القرن الرابع عشر الميلادي أي خلال الحقبة التي كانت فيها حركة الكشوف الجغرافية والجشع الاستعماري على أشدها.

وبهذه المناسبة أشير إلى ما نشرته مجلة «أهلاً وسهلاً» التي تصدرها «السعودية» في أحد أعدادها في القسم المحرر باللغة الإنجليزية تحت عنوان «جزر فرسان» «أنجلوبسكي يزور لؤلؤة البحر الأحمر» جاء فيه:

في أواخر القرن السابع عشر كتب الرحالة البريطاني «جون أوفنجتون» عن أرخبيل مجموعة جزر فرسان خارج ساحل البحر الأحمر الذي هو المملكة العربية السعودية اليوم:

جيزون «جيزان» آخر مدينة تقع على الساحل التابع للملك Arabia Felix [1] إنها مشهورة في تجارة صيد اللؤلؤ.

وجزيرة فرشام «فرسان» الواقعة على بعد ثلاثة فراسخ عظيمة الشهرة في هذا المجال، والمدينة نفسها صغيرة ومهتمة فقط بصيد اللؤلؤ وإرسال كمية من الدخن «نوع من الحبوب يزرع في منطقة جيزان» إلى باقي أجزاء Arabia Felix .

«١» هكذا جاء في الموضوع

النصرانية في فرسان

وأعـود مرة ثانية إلى الديانة النصرانية ووجودها في هذه الجزر إذ أنني سأعمد إلى الاستنتاج مما سأنقله عن كتاب «اليمن الخضراء» لمؤلفه محمد بن علي الأكوع تحت عنوان «رأي مؤرخي اليونان» صفحة ١٥٨ الطبعة الأولى سنة ١٣٩١هـ. ١٩٧١م حيث جاء فيه :

«تشير المصادر اليونانية إلى أن غزو النصرانية لنجران إنما كان عن طريق الحبشة التي أصبحت تدين بالدين المسيحي الذي أدخلته إلى الحبشة رغبة القيصر الروماني «قسطنطيوس» في نشر النصرانية هناك على يد كاهن رومي اسمه «فرومنتوس» الذي أصبح أسقفا هنالك ثم قامت الحبشة بدورها بالتبشير باليمن وابتدأت بنجران».

ويفند المؤلف هذا الرأي بقوله : «إنه من غير المعقول أن المرء الحامل لعقيدة من العقائد أو مبدأ من المبادىء أو دين من الأديان أن يبعد النجعة لبذر دعوته في أناس لا يعرفهم ولا يمت إليهم بصلة ولا قيمة له عندهم وهم على ملة تخالف ماجاء به .

وإن المعروف أن تبدأ الدعوة بين الأقربين وأدنى الناس إليه ومن يعرف قيمته بين قومه من حيازة الشرف والصدق والأمانة ، وكان من حق هذه الدعوة والتبشير أن تبدأ على أقل تقدير في السواحل المجاورة للحبشة لما بينهما من تبادل تجاري وتعارف وحسن جوار حتى يتسنى له التوغل إلى داخل البلاد .

ثم لماذا اختار نجران ـ وهي في أقصى الشمال ـ التي تكلفه جهداً ومشقة وعناء السفر بالحط والترحال ، ولِمَ لَمْ يختر غير نجران «كظفار» أو «صنعاء» أو غيرها من العواصم المشهورة في ذلك التاريخ ، وهذا مالم ينقل إلينا كما لم ينقل إلينا أن النصرانية توطنت غير نجران واعتنقها قبائل غير القبيلة التي تسكن نجران ، وإن كان «لسان اليمن» يحدثنا عن نصارى قبيلة «الفرسان» في «موزع» وفي جزائر فرسان . انتهى

وإذا عرفنا أن مدينة موزع ـ التي لم يبق منها سوى الأطلال ـ هي مدينة من مدن «تهامة» في الداخل وتقع مقابلة لمدينة «المخا» اليمنية الساحلية التي اقترن اسمها بالبن اليمني الجيد «بن مخا» وفي الشمال الشرقي منها. إذا عرفنا ذلك استنتجنا أنه كانت توجد صلة في الدم والقربى بين أفراد وجماعات قبائل الفرسان هذه التي أشار إليها لسان اليمن بأنها كانت تسكن مدينة موزع وجزائر فرسان، وفي هذه الحالة يصبح من الطبيعي أن الديانة واحدة، وأن هذه الديانة ـ وهي النصرانية ـ قادمة إليها من الحبشة ـ دون أدنى شك بحكم موقعيهما القريبين من الساحل الغربي للبحر الأحمر المقابل لهما والذي تقع الحبشة في نطاقه.

لكن السؤال الذي يظل حائراً: لماذا لم تكن ديانة الفرسانيين ديانة سكان الساحل الشرقي للبحر الأحمر مع أنه أقرب مسافة من الساحل الغربي؟ وهل خضعت هذه الجزر في يوم من الأيام للنفوذ الحبشي وفرضت النصرانية على أهلها؟ أم أن ذلك كان نتيجة تأثر واختلاط لو فرضنا أن علاقة سكان هذه الجزر أمتن بالساحل الغربي منها بالساحل الشرقي للبحر الأحمر؟ مع أن الساحل الشرقي هو الأقرب مما دعا «لويس المعلوف» أن يقول في قاموسه «المنجد في اللغة»: «فرسان مجموعة جزائر واقعة جنوبي غربي رأس جيزان وهو مرفأ أبي العريش في تهامة (جزيرة العرب) يصطاد سكانها اللؤلؤ والسلاحف». ولا أدري ماذا يقصد بقوله: وهو مرفأ أبي العريش، فإن كان يقصد بذلك جيزان فهذا خطأ لأن مدينة جيزان أقدم عمراً من مدينة أبي عريش الواقعة على بعد ٧٠ كيلوتقريباً شرقاً منها، والذي لا يعرف الحقيقة يظن أن جيزان أنشئت من أجل أن تكون ميناء لأبي عريش. وناحية أخرى أن جيزان تعتبر مرفأ لتهامة عسير كلها سواء مدن السهول أو مدن الجبال مثل «أبها» و«خميس مشيط»، وإن كان يقصد بأن فرسان ـ وهذا ما استبعده ـ هي المرفأ الذي قصده فهذا كلام من غير الضروري إيضاح خطئه.

وبالمناسبة أشير إلى أن التاريخ ذكر أن مدينة جيزان الحالية أو «جازان» ـ على رأي الأستاذ العقيلي ـ كان اسمها قديماً مدينة «عثر» حيث ورد ذكرها في النقوش الحميرية. كما أثنى عليها لسان اليمن فقال: وهو مخلاف عظيم، وثغر جميل، وساحل جليل.



سبقت الإشـارة إلى الجبـل المسمى بـ «جبـل كنيسـة» وسبقت الإشارة أيضاً إلى سبب هذه التسمية ولكننا لم نشر إلى موقع هذا الجبل بالنسبة لفرسان «المدينة» ـ إن جاز هذا التعبير ـ فهو يقع في الشمال منها وعلى بعد كيلومتر واحد تقريباً ولم يبق من الكنيسة شيء ـ إن كانت هناك كنيسة ـ سوى بقايا من الحصى البحري الذي يفرش به أهل فرسان ساحات منازلهم حتى يومنا هذا، كما أنه لم يبق سوى نتوءات بسيطة من بقايا تدل على أن ذلك الموضع كان به بناء في يوم من الأيام.

والاستـدلال على أن كنيسـة كانت في هذا المكـان إنما جاء من تـسمية ذلـك المـوضع بالاسم الـذي ذكـرنـاه، وهـو اسم توارثـه الأبنـاء عن الآبـاء، وطبيعي أنـه لم يأت جزافاً أو بمحض الصدفة ولا بد أن يكون له أساس.



خرائب واطلال في وادي مطر ◀

والواقع أن جزيرة فرسان غنية بالآثار التاريخية التي تحتاج إلى عمل جاد يكشف أسرارها ويبرز أهميتها. فهناك آثار في جنوب مباني البلدة في منطقة تعرف بـ «وادي مطر» تبعد حوالي تسعة كيلومترات تضم أطلالاً ذات صخور كبيرة عليها بعض كتابات فسرها بعض خبراء «قسم الآثار» بوزارة المعارف بأنها كتابات حميرية، ووجد بها صاحب المخلاف السليماني في الجنوب أثناء قيامه برحلة إلى هذا المكان وجد بها قدماً لتمثال إنسان مصنوعة من الطين المحروق. كما يوجد بها حجر على شكل مثلث به ثلاث فتحات اثنتان منها تمثل العينين

والثالثة تمثل فتحة الفم، وهذا الشكل ربما قصد به نحتاً لوجه إنسان ولكن بطريقة بدائية.

وفي قرية «القصار» ـ التي سنتحدث عنها فيما بعد ـ يوجد مكان يسمى «الكدمي» به بنايات متهدمة ذات أحجار كبيرة يغلب عليها الطابع الهندسي ـ مربعات ومستطيلات ـ وبقايا أحجار منحوتة تشبه ـ إلى حد كبير ـ الأعمدة الرومانية. ومما يؤسف له أن هذه الحجارة وهذه الأعمدة قد سطا عليها من لا يعرف قيمتها واستخدمت في بناء المنازل العادية المجاورة لذلك المكان، وبعض هذه الحجارة لا يخلو من كتابات قديمة ربما تكون حميرية أو سبئية أو معينية.

وإلى الشرق من هذه القرية وجد نفق يضم رفات مجموعة من الأشخاص غير العاديين طولاً وهيكلاً أعيدوا إلى نفقهم بعد الكشف عنهم بطريق الصدفة من قبل بعض الأهالي. وأسفل هذا النفق ـ في أرض مجاورة ـ وجدت فرقة تابعة للمواصلات قدراً وملعقة مصنوعتين من الطين عندما كانت هذه الفرقة تقوم بأخذ التربة من ذلك المكان لتمهيد الطريق المؤدية من الميناء إلى البلدة، وللأسف الشديد لم يعرف واجدوا هذين النموذجين قيمتهما الأثرية مما أدى إلى عدم العناية بهما وفقدانهما.

وعلى مقربة من هذا المكان توجد بقايا أبنية تشير إلى أنها كانت عبارة عن أفران مبنية من الجص والفخار المحروق، وهذه الأبنية لا تزال باقية حتى الآن. ومن يدري؟ فلربما توجد آثار قيمة وجديرة بالاهتمام سيعثر عليها لو أن المسؤولين عن الآثار اهتموا بهذه الجزر وبذلوا نحوها شيئاً من الجهد والمال، فهناك أماكن كثيرة مازالت مجهولة وبحاجة إلى البحث والتنقيب.

❁ قلعة لقمان

لقد قيل قديماً: إن الأسماء لا تعلل، وقلعة لقمان أو جبل لقمان كما يسميه الأهالي والواقع في الجنوب الشرقي من البلدة وعلى بعد عشرة كيلومترات منها وثلاثة كيلومترات من قرية القصار اسم لا يعرف سببه، وهو عبارة عن حجارة ضخمة متهدمة تدل على أنها أنقاض قلعة قديمة بنيت على مرتفع يطل على السواحل الشرقية والجنوبية والغربية للجزيرة وتطل على أنقاض تقع في الجنوب منها على بعد اثنين كيلو تقريباً تدل على أن قريتين كانتا



▲ قلعة لقمان قديمة متهدمة تبدو كفوهة بركان

موجودتين بالقرب منها. لكن الذي لم يعرف هو: هل وجدت هذه الآثار المتقاربة في زمن واحد؟ هذا هو السؤال الذي يحتاج إلى الإجابة عليه.

إن أثر بناء هذه القلعة مازال واضحاً وبطريقة تدعو إلى الدهشة في كيفية رفع تلك الحجارة الضخمة التي لا يعرف لها تاريخ ولا تتوفر عنها أية معلومات.

۞ مباني غرين

والأعجب منها المباني والآثار الموجودة في منطقة «غرين» التي يبلغ حجم الحجر الواحد منها حوالي ٥ر٢×٥ر١ متر أو أكثر كما يزن عدة أطنان إن قُدر له أن يوزن.

وفي موضع آخر يدعى «القريَّا» توجد آثار مشابهة أبرزما فيها الأسرة المصنوعة من

الحجارة وبقايا غرف لا يزيد الضلع الواحد من أضلاع أي منها عن حجرين منحوتين بشكل هندسي .

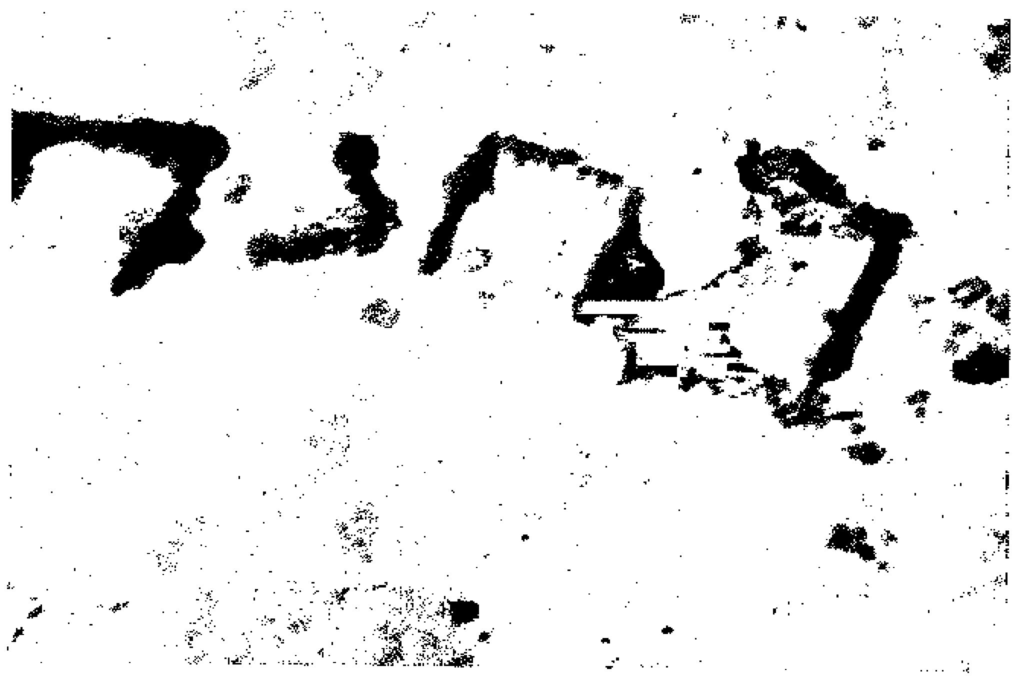
وآثـار غرين تنقسم إلى قسمين أحدهما يسمى «غرين البر» والآخر «غرين البحر» وهو القسم المحـاذي للشـاطىء ، وتحكي الـروايـات الشعبيـة أن معـركة قد نشبت بين القريتين سببتهـا عجـوز نمامـة كانت تغـذي نار الفتنـة بين الفئتـين حتى أدت إلى تطـاحن أفـرادهما وهلاكهم ، ولذلك يوجد مثل شعبي في فرسان حيث يقال : «فلانة عجوز غرين» إذا وجد في المجتمـع من تقـوم أو حتى من يقـوم بنقـل الكـلام بين النـاس إذا كان هذا الكـلام فيـه ما يجرحهم . ولعـل «الخنـدق» المطمور بالتراب الموجود في هذه المنطقة يكون قبراً جماعياً يبرهن صحة هذه الرواية .

أعـود إلى الآثـار مرة ثانيـة فأقـول : إن هذه الأشكـال جميعهـا سواء في وادي مطر أو في الكـدمي بقـريـة القصار أو في قلعة لقمان وغرين والقرَيا ظلت جميعها تضع أمامي تساؤلات كنت أجهـل الإجـابـة عليهـا حتى جاء بعض الخـبراء التـابعين لقسم الآثار واستنتجوا من الكتـابـات الموجودة على بعضها أنها تعود إلى عهد الدولة الحميرية اليمنية كما تأكد لي ذلك عنـدمـا زرت «اليمن» وشـاهـدت بعض آثـارها في كل من قصر «غمدان» بمدينة «صنعاء» و«سد مأرب» وغيرهما حيث وجدت تشابهاً كبيراً في الشكل وفي طريقة وحدة البناء والتركيب والتداخل والربط بين الأحجار بعضها ببعض .

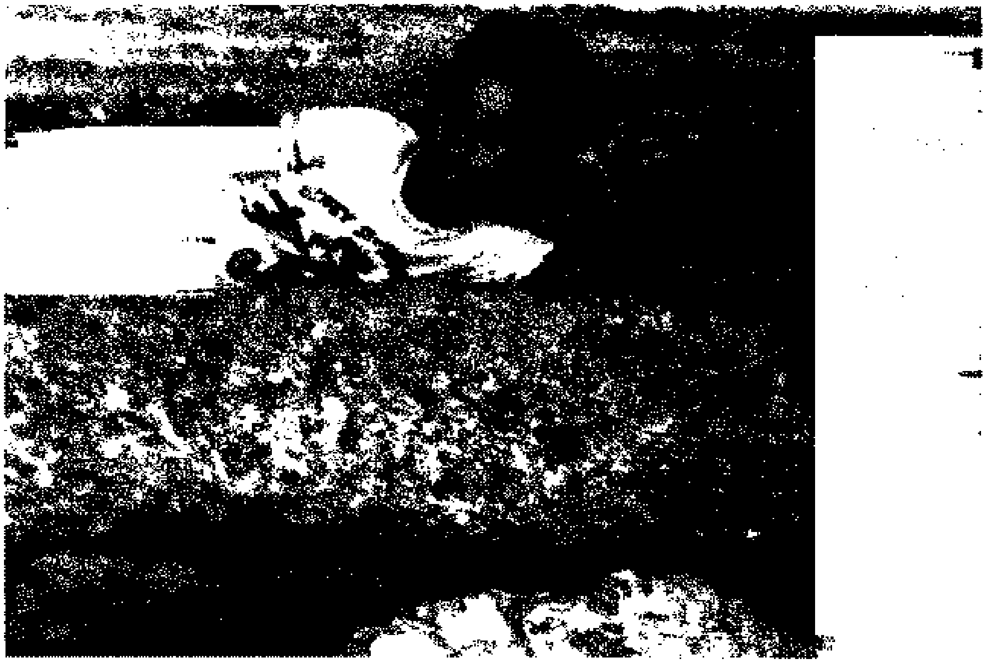
وإذا تخطينا العصور الغابرة واجتزنا عتبات التاريخ وانتظر بنا قطار الزمن قليلاً أمام عهد «الإمـبراطـوريـة العثمانية» فإننا سنجد آثارها ما زالت باقية : ففي جنوب مباني البلدة توجد منطقـة «العـرضي» وهي عبارة عن مجموعة بنايات مستديرة أو مستطيلة الشكل كان الجنود العثمانيـون يتخـذونهـا معسكـراً لهم وقد تحولت هذه الثكنات وبالاً على العثمانيين أنفسهم خلال الانتفاضة التي انتفضها العرب على الحكم التركي حيث قاوم الفرسانيون هذا الحكم وحـدثت معـركـة بينهم وبـين الجنود العثمانيين أسفرت عن مصرع خمسة وعشرين جندياً من الجيش العثماني مقـابـل مواطن فرسـاني واحـد وذلك لأن الفرسانيين كانوا يقاتلون من تلك الثكنات في الوقت الذي كان فيه الجنود العثمانيون يقاتلون في العراء لأنهم قادمون من سفنهم الـراسيـة في ميناء «جنابه» الأمر الذي جعل هؤلاء الجنود يطلبون النجدة من حكومتهم لولا أن الأمر انتهى بالوساطة والصلح ثم التسليم للدولة العثمانية حتى نهايتها من كل البقاع التي كانت تسيطر عليها .

ويجوار هذه الثكنات العسكرية خلف العثمانيون خطاً ممهداً يصل البلدة بالميناء السالف الذكر، هذا الخط يسمى «الاسكلة» وكان يستخدم كممر للعربات التي تجرها الجياد والبغال وتنقل عبرها المؤن والمواد الغذائية اللازمة للحامية العثمانية الموجودة في هذه الثكنات وفي القلعة العثمانية الواقعة في شمال البلدة والمبنية فوق تل مرتفع يشرف أيضاً على جميع سواحل الجزيرة تقريباً عدا الساحل الشمالي الغربي الذي تمتد الجزيرة ناحيته حوالي ٧٥كم كما أسلفنا.

هذه القلعة تختلف عن قلعة لقمان التي سبق الحديث عنها، وهي مبنية من الحجارة والجص الموجودة خاماته بكثرة في فرسان، وقد بُني سقفها من جريد النخيل الموضوع على أعمدة من قضبان سكة حديد، وقد بدأ هذا السقف يتآكل وتظهر فيه فجوات تتسع يوماً بعد يوم لعدم وجود الصيانة اللازمة لهذه القلعة التي تعتبر أثراً بارزاً من آثار العثمانيين في الجزيرة.



▲ كتابة أثرية على فوهة بئر في منطقة غرين



▲ سرير منحوت من الحجارة في آثار غرين



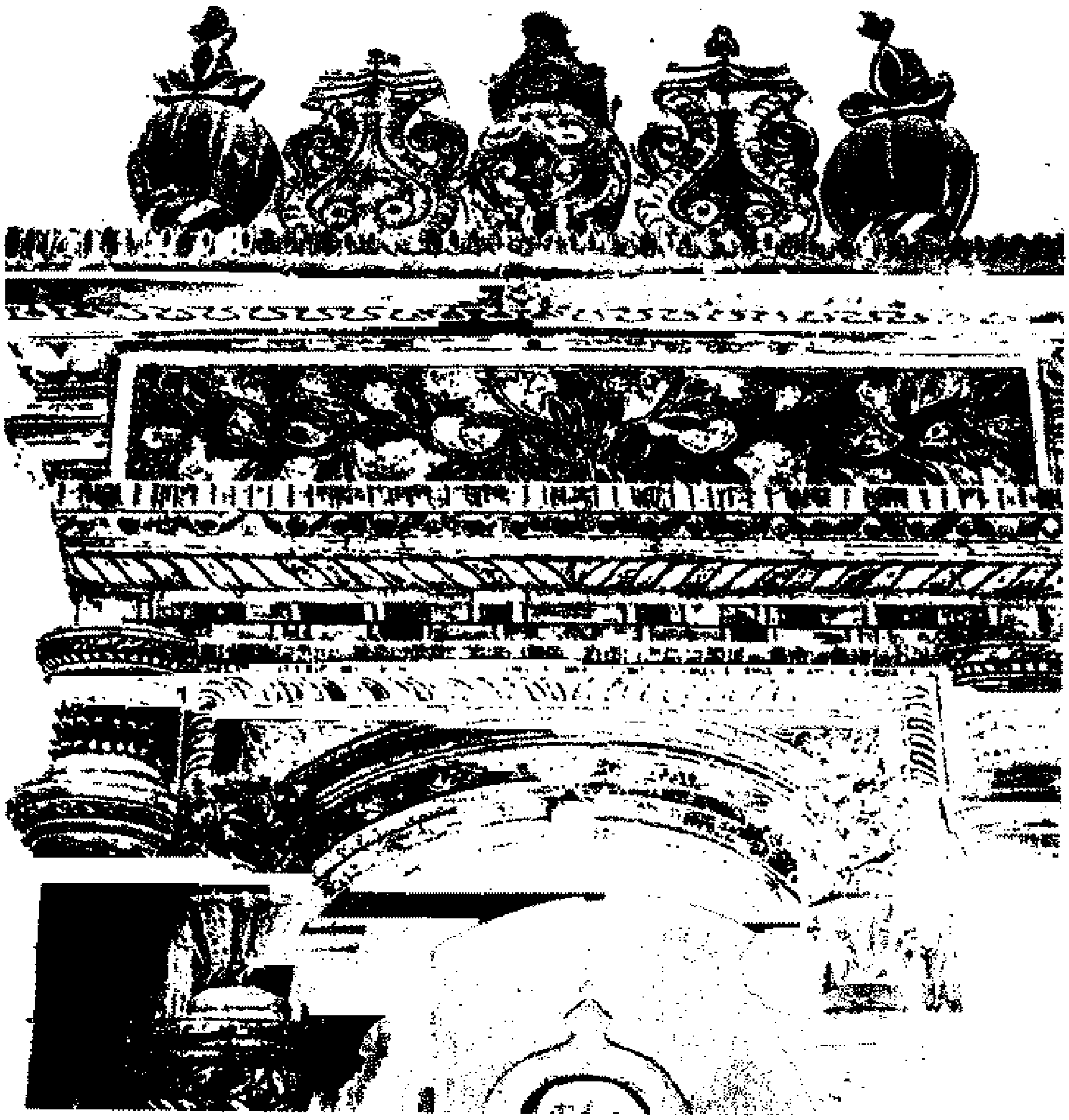
▲ بئر قديم منحوت في الصخر وقد كان كل بئر من هذه الآبار المنتشرة يستمر الحفر فيه لمدة تزيد على العام لكي يكتمل فالأرض كلها صخرية .



◄ أقدم جامع في الجزيرة



واحد من المداخل المؤدية إلى منزل قديم ◄



● مسجد الشيخ ابراهيم النجدى

فرسان
واللؤلؤ

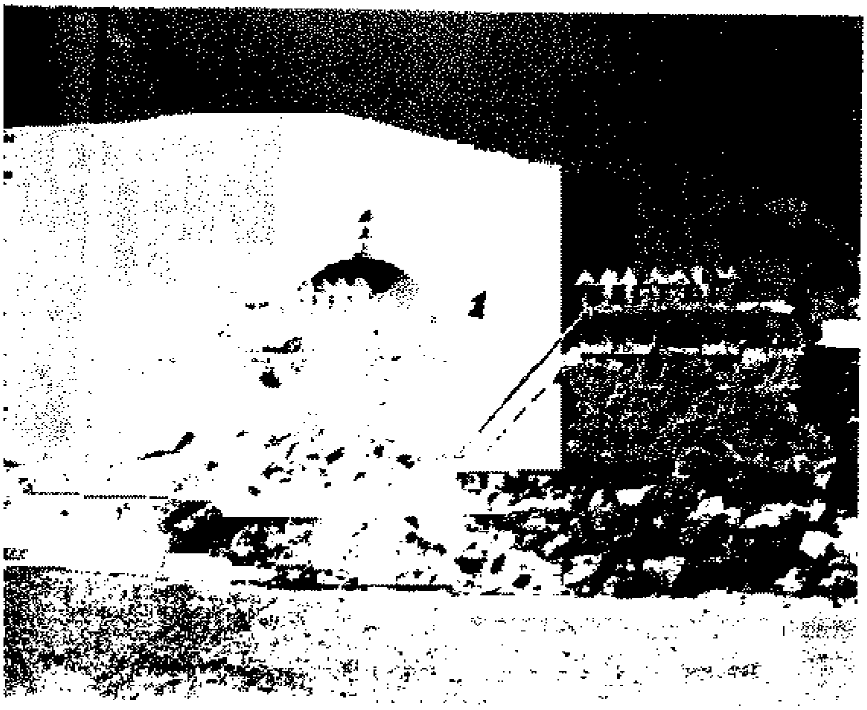
الإنسـان ابن بيئتـه كما يقـولـون، وبطبيعة الحال فإن البيئة تفرض عليه أن يتأقلم معها وتفرض عليه نوع الحياة التي يجب أن يعيشها.

والبحر بجمـالـه الأخـاذ ومعطيـاته المتنوعة الوفيرة غالباً ما يجتذب سكان السواحل إلى امتطاء أمواجه وارتياد أعماقه للحصول على تلك المعطيات خاصة إذا كانت ذات قيمة مالية كبيرة كاللؤلؤ الذي توجد مناطق صيده بكثرة على سواحل هذه الجزيرة أو الجزر المجاورة لها.

من هذا المنطلق فرض البحر على سكان جزر فرسان حياة خاصة من الناحية المعيشية والاقتصـاديـة، فهي ليست ذات موارد مائيـة تسـاعـد على الزراعة فيها، وإن الزراعة التي سأتحدث عنها في فصل خاص ليست إلا استثناء في حياة سكان هذه الجزر أو من الشواذ التي تثبت القاعدة، فهي حياة زراعية بسيطة تعتمد على الأمطار غير المنتظمة في الغالب.

من ذلك كله اتجه هؤلاء السكان إلى البحر يجوبون أرجاءه ويغامرون بحياتهم في مداه الواسـع، ويقضـون الأسابيع والشهور بعيدين عن الأهل والوطن يصارعون أمواجه وأنواءه ويستمتعـون بسـويعـات تجمعهم فيهـا لياليه المقمرة أحياناً والضاحكة نجومها أحياناً أخرى فيرسلونهـا آهـات وزفـرات شجيـة خلفت لنـا ثروة هائلة من الألحان والكلمات الرقيقة التي أبدعها الحرمان والفراق والمعاناة سنتعرض لذكر شيء منها فيما بعد.

لقـد كانت السفن الفـرسـانيـة تسـافـر إلى الغوص في مواسم معينة من العام بحثاً عن اللؤلؤ الذي توجد مصائده قريبة من شواطىء هذه الجزر ـ كما أسلفنا ـ أو بالقرب من الجزر



● منزل أحمد منور الرفاعي انعكاس للترف ايام تجارة اللؤلؤ

المجاورة لها والواقعة على الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر مثل جزائر (دهلك) ثم تعود محملة بالمحصول الجيد الوفير الذي يتركز فيما بعد في أيدي قلة من تجاره المشهورين إذ يقومون بشرائه من الغواصين في الأسواق المحلية، وعندما تتجمع لديهم الكميات التجارية الكافية للتسويق والبيع في الخارج فإنهم يسافرون لبيعه في «عدن» ـ عندما كانت سوقاً مفتوحة ـ أو في «إمارات الخليج العربي» آنذاك «دول الخليج حالياً».

وكبار التجار منهم يسافرون إلى مدى أبعد كالهند والباكستان، بل دفع الغنى بعضهم إلى السفر إلى بلدان أوروبا «فرنسا، بريطانيا، إيطاليا» وعرجوا في أسفارهم على كل من مصر وسورية وبلدان أخرى في الشرق الأوسط في وقت كانت فيه المواصلات الحديثة بدائية أو تكاد تكون معدومة.

وأشهر هؤلاء التجار التاجر المعروف «أحمد المنور الرفاعي» صاحب أشهر وأحسن بيت في فرسان، بل الذي أجمع عليه الزوار الذين قدموا من مختلف مدن المملكة من سعوديين

وأجانب بأنهم نادراً ما شاهدوا مثل هذه التحفة. بل لقد قال أحد الخبراء الأمريكيين: إن هذا المنزل يجب أن يقطع بطريقة فنية حديثة وينقل إلى متحف من المتاحف التي يرتادها الزوار والمهتمون بشؤون الفن والآثار.

ومن تجار اللؤلؤ المشهورين في فرسان الشيخ «إبراهيم النجدي التميمي» قدم من نجد ومن «حوطة بني تميم» على وجه الخصوص وقد عاصر هذا الرجل دخول الحكم السعودي إلى فرسان وقام بمساعي مشكورة في استقبال الجنود وإكرامهم والتعارف بين رؤساء هؤلاء الجنود وأعيان البلدة، وقد أصبح من التجار المعروفين في الجزيرة ومسجده الذي يعتبر معلماً بارزاً في فرسان يشهد له بالثراء. بالإضافة إلى تجار آخرين أمثال محمد إبراهيم زيدان وأحمد غاصب وإبراهيم أحمد عقيلي وهادي حسن عثمان، وغيرهم كثيرون تاجروا باللؤلؤ وسافروا إلى الخارج وعادوا وفي عقولهم أفكار متطورة تجلت في الفن المعماري الذي شيدوه، وما زالت آثارهم تشهد بما وصلوا إليه من ذوق رفيع وحياة مرفهة.

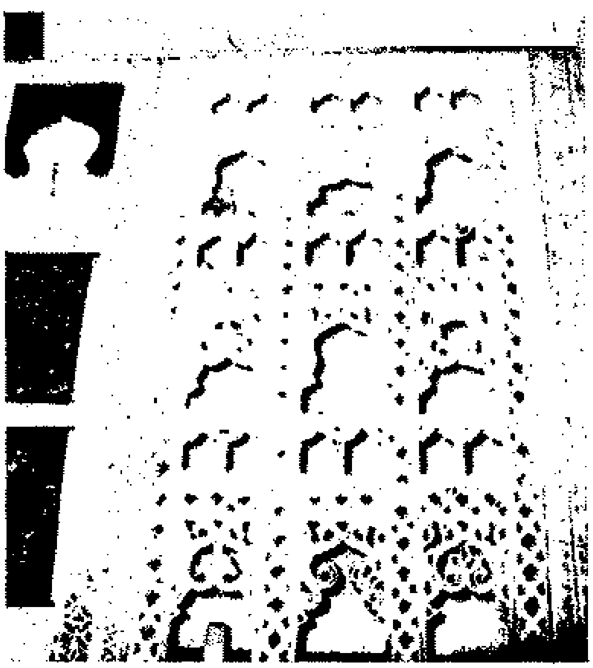
ولا أقول: إن الفرسانيين قد اقتصرت حياتهم على صيد اللؤلؤ واستخراجه فقط فالبعض منهم اتجه اتجاهات أخرى منها صيد الأسماك لأن مياه هذه الجزر تعتبر مصائد جيدة للأسماك كما هي مصائد جيدة للمحار وعلى القارىء الكريم - إذا أراد أن يعرف ذلك أن يرجع إلى كتاب «عالم البحار، الجزر، الأسماك، الطيور» تأليف العقيد «صالح بن محمد بن مشيليح الحربي» إصدار نادي جدة الأدبي - الطبعة الأولى -.



● قطاع زخرفي ومنقوشات داخل مسجد الشيخ ابراهيم النجدي



▲ واجهة منزل أحمد المنور الرفاعي وبها زخارف ونقوش انعكاس للترف أيام تجارة اللؤلؤ



قطاع زخرفي داخل منزل الرفاعي ◀



▲ صيد اللؤلؤ، حين كانت تجارة الجزيرة تعتمد عليه، وتصدره الى بلدان مختلفة. ومنها أوروبا، وقد تعرف أهل الجزيرة من خلال هذه الزيارات التجارية، على مستوى الشعوب الأخرى وفي الصورة واحد من تجار اللؤلؤ القدامى.

ابرز العلماء والشخصيات

هذه الجزر لا تخلو من علم ، وإن كان التاريخ لم يحفظ لنا أناساً برزوا وساهموا بعلومهم - ولو على مستوى هذه المنطقة على الأقل - إلا أنه قد جاء في «الأعلام» لخير الدين الزركلي : «الجزء الأول - الطبعة الثالثة» مايلي ؛

«الفرساني (٠٠ - ٦٢٦هـ (٠٠ - ١٢٢٩م) إبراهيم بن أبي بكر بن علي الفرساني سري الدين : قاضي صنعاء . يماني ، فقيه له مصنفات في الأصول على مذهب الأشعري . نسبته إلى جزائر فرسان في البحر الأحمر» .

وقد أشار المؤلف في هامش الصفحة ٢٦ وهي الصفحة التي ورد فيها ذكر هذا العالم إلى وجود إيضاحات عنه في كتاب اسمه «العقود اللؤلؤية» من صفحة ١ : ٤٣ وهذا كتاب لم أتمكن من العثور عليه . ومن رجال فرسان المشهورين «عبدالله سهيل» الذي كان واحداً من أربعة كانوا يناوئون الحكم الإدريسي وهم :

١ - أحمد شريف الخواجي في صبيا
٢ - منصور الصعدي في أبي عريش
٣ - علي سويد الأنصاري في جازان
٤ - عبدالله سهيل في فرسان

وقد قطع الإدريسي يدي الأول ، ونفى الثاني إلى شهران وسجن الثالث في جبل النظير . أما صاحبنا فقد فر أولاً إلى اليمن ثم عاد مؤخراً فقبض عليه وسجنه مدة ثم عفا عنه[1]

«١» المخلاف السليماني «الجزء الثاني»

رحلة ورأي

في عام ١٣٨٥هـ قام الصديق الأستاذ «علوي طه الصافي» رئيس تحرير مجلة «الفيصل» برحلة صحفية إلى فرسان وبعض الجزر التابعة لها، وحين عاد كتب انطباعاته في جريدة «البلاد» التي تصدر في «جدة» في عددها رقم ٢٠٥٥ الصادر في ١٢/٧/١٣٨٥هـ نقتطف منها ما يأتي :

أنا أعارض من يقول : إنه ليس في بلادنا مناطق تصلح أن تكون سياحية . . إن فيها الكثير من المناطق التي لو أعطيناها قليلاً من الاهتمام وقليلاً من البذل . . ولو أعددنا لها البرامج الإعلامية والأفلام السينمائية لجلبنا إليها الكثير من السياح والباحثين عن الراحة والاستجمام .

وفرسان . . أو الجزيرة النائمة في أحضان البحر الأحمر مثل بسيط وبسيط جداً لما أعنيه . . هذه الجزيرة التي شهدت مجداً قديماً غابراً . نحن الآن في ميناء جيزان أو «جازان» عروس الجنوب وحاضرته وعلينا كي نصل إلى فرسان أن نبحر من هذا الميناء العتيق . . ومعنى هذا أن لنا لقاء مع البحر وأهواله . . لقاء مع الصمت الرهيب والزمجرة العارمة .

رحلة فيها شيء من المغامرة . . وفي كثير من الأحيان يميل الإنسان إلى المغامرات لمعرفة الجديد . . فهو بطبيعته نزوع إلى التجديد . لا يعرف شيئاً إلا ليدعه للتعرف على غيره . . وصحيح ما قيل إن لذة الحياة في الانتقال والتغيير والتجديد .

أبحرنا من ميناء جيزان . . وسار «اللنش» الذي يقلنا أو الزورق كما أسميه . . سار الزورق المستلهم بلا مجداف ولا حوراء تغني . . سار بمجموعة أعضاء الرحلة . . تداعب الأمواج الصغيرة وتداعبنا . . نتبادل «النكات» والحكايات .

كان السوقت قبل غروب الشمس، وقد ذهب الأصيل سطح البحر فأكسبه روعة وانبهاراً . . وتسلل الليل مرخٍ سدوله أو «ملاءته» السوداء «كالأخطبوط»، وأخذت هيبة البحر تسري في نفوسنا فتذكرت قول الشاعر «امرىء القيس» وليله :

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي

وقد لا يكون ليلنا كليل امرىء القيس فهناك اختلاف في الزمان والمكان والمناسبة .

كلما توغلنا في السير ادلهم الظلام ، وساد الجو وقار كوقار الطاعنين في السن باستثناء ذلك الهمس الخفيف الذي يدور بين محرك اللنش وبين البحر . . كان همساً أشبه بخرير ماء الوادي .

أدرت ظهري لأسرح مع البحر، وأمتع ناظري بصفحته المخملية . . فاعتراني شعور غريب . . وأخذت نسمة بحرية رطبة تداعب وجهي ورحت في نجوى طويلة مع البحر. ترى ما سر صمت هذا العملاق أحياناً وثورته أحياناً أخرى؟ كم من الأسرار يضمها صدر هذا البحر الكبير ويسدل عليها ستاراً كثيفاً؟ كم من النفوس البريئة أزهقها . . وحرمها الحياة؟ كم من الأحلام الوردية داعبت قلوب أحبة تكسرت أمام لطمات أمواجه الغاضبة؟

أفقت من نجواي على صوت صديق يعرف فرسان وجزرها جيداً قائلاً : انظر . . هذه أول جزر فرسان تصادفنا . . إننا ندعوها «آمنه»، وتلك «أحبار» وأمامنا جزر أخرى سنأتي إليها . . إن هذه الجزر لا يسكنها أحد . . إلا أن بعض شبان جيزان يقضون فيها أحياناً أيام الإجازات . ولأهل فرسان خبرة واسعة في الملاحة مما جنبنا كثيراً من المآزق والشعاب في تلك الظلمة الحالكة . . وهم لا يستعملون في ذلك أية وسيلة من الوسائل كالبوصلة مثلاً ويكتفون بمعرفة الاتجاهات حسب النجوم .

ثم يستطرد الأستاذ الصافي في حديثه فيقول : وقد كان لأهل فرسان ميدان واسع في التجارة . . وأهمها «تجارة اللؤلؤ» الذي كانوا يأخذونه معهم إلى أقطار مختلفة قد لا تصدق لو قلت لك : إنهم وصلوا فرنسا . . وبريطانيا . . والهند . . والحبشة . وقد أجاد بعضهم «اللغة الفرنسية» وما زال منهم مواطن من عائلة «زيدان» يتقنها . . وقد شاهدت صوراً تذكارية لهم

في البلدان التي زاروها في الشرق والغرب. كما أن أهل فرسان أصحاب خبرة في بناء السفن الشراعية إلى جانب الزراعة وصيد اللؤلؤ والسمك.

عادات وأساطير

وتحت هذا العنوان في العدد ٢٠ من مجلة الفيصل كتبت ما يلي:

ويذكر الصديق الصافي من خلال انطباعاته أنه ما زال فريق كبير من أهل فرسان يعتقدون في الخرافات والأساطير.. وكثير من عاداتهم مليئة بمثل هذه الخرافات.. فهناك جبال يسمونها «المغوي» يعتقدون أن من ذهب إليها فإن مصيره المحتوم هو الضياع وعدم العودة لا إلى فرسان فحسب بل إلى الحياة. وهم يروون لك القصص والحكايات الغريبة، فالتائه في هذه الجبال كلما صعد أكمة رأى فرسان ثم ينزل منها ليقع مرة أخرى فريسة للضياع ثم يجهد نفسه خلال بحثه ومحاولاته حتى يموت عطشاً وتعباً. وقد سموها بالمغوي لاعتقادهم أن هناك نجماً يلوح أمام السائر لغوايته فتضل منه الطريق.. فهو يوهمه أنه قريب من قرية مأهولة فيسير خلفه من مكان إلى آخر حتى يصبح عاجزاً عن معرفة المكان الذي هو فيه، وعندها لا يعرف الشرق من الغرب، وهذا النجم يظهر في الأفق ليلاً كبصيص النور.

وكتعقيب على ما كتبه الأستاذ الصافي أقول: إن هناك فرقاً بين الجبال التي أشار إليها وبين النجم الذي يشاهد ليلاً. فهذه الجبال يسميها أهل فرسان «جبال المغاوي» وليست المغوي وهي بالفعل جبال توجد في الجزء الشمالي الشرقي وهي صعبة المسالك إلى حدٍّ ما. والذي يذهب إليها لأول مرة ربما يعاني بعض المصاعب في العودة إلى المدينة ولكن هذه المصاعب لم تصل إلى الحد الذي ترويه عنها الأساطير. ومن الأشياء التي تستحق الإشارة أن المنخفضات السهلية الواقعة بين هذه الجبال تكون غنية بالحشائش والمراعي في موسم الأمطار ولذلك تصبح ملجأ مأموناً للأغنام الفارة التي تستهويها خصوبة تلك السهول وغدرانها التي تمكث مدة طويلة دون أن تجف الأمر الذي يجعل هذه الأغنام لا تعود إلى أهلها وعندئذٍ تتكاثر وتصبح أغناماً متوحشة وغير موسومة بعلامة لأحد.

أما بالنسبة للمغوي أو النجم الذي أشار إليه الأستاذ الصاق فإن ذلك في اعتقادي موضوع علمي بحاجة إلى بحث ودراسة.

إذ أنه في نهاية فصل الصيف وبداية فصل الخريف من كل عام وعندما تتكاثف السحب الموسمية التي تنزل أمطاراً ـ في أغلب الأحيان ـ وخاصة في الليالي المظلمة. هذه السحب تبدأ في التراكم بعد الظهر من كل يوم وتمكث حتى الهزيع الأول من الليل. في هذا الموسم وفي هذه الليالي الشديدة الظلمة تظهر أنوار متحركة في منطقة معينة وهي الطريق الواقعة بين فرسان (البلدة) وبين قرية القصار، والذي تجبره ظروفه على السير في هذه الطريق ليلاً في مثل هذه الأيام لا بد وأن يشاهد هذه الأنوار في عدة اتجاهات وهي تتحرك، وقد تؤدي هذه الأضواء المتحركة إلى خداعه فيظنها المكان الذي يريد الوصول إليه ويقضي ليلته سائراً وراء هذه التحركات التي لا تستقر على حال، وهذه ظاهرة يعرفها كل الفرسانيين الذين عاشوا جزءا من حياتهم قبل عهد دخول الكهرباء.

هذه الظاهرة الغريبة فسرت بأنها شياطين متحركة تتعمد إيذاء الناس وإغواءهم، وقالوا بأن الشيطان الذي يؤدي هذه العملية يضع أصبعه في موضع معين من جسمه ويخرجها مشتعلة على شكل سراج متحرك.

وتفسيري لهذه الظاهرة إنطلاقاً من ظهورها في موسم معين وفي منطقة معروفة بأنها حشرات طائرة أجسامها غنية بمادة «الفوسفور» تتراءى للسائر بالشكل الذي يراه، ونتيجة لعدم معرفة الأقدمين لمثل هذه الظواهر العلمية ذهبوا يفسرونها حسب آرائهم الممزوجة بإضافات من الخيال الساذج وأضافوا إليها الأقاويل التي لا تمت إلى الحقيقة بصلة.



الزراعة والغزلان

أرض هذه الجزر ـ كما أسلفت ـ تغلب عليها الطبيعة الجبلية التي هي عبارة عن «شعاب مرجانية» كان يغمرها الماء ثم انحسر عنها، ولكنه على الرغم من ذلك توجد فيها مساحات لا بأس بها ذات تربة صالحة للزراعة استغلها المواطنون وجعلوا منها مزارع صغيرة، إلا أن شح الماء وقلته لم يجعلهم يستفيدون من هذه المزارع كما يجب بالإضافة إلى أن الأمطار التي تسقط خلال العام غير منتظمة وإذا نزلت هذه الأمطار في بعض المواسم فإن الزراعة تقتصر على الذرة المحلية في الغالب، والانتاج لا يفي بالاستهلاك المحلي، ولا أدري كيف ذكر «جون أوفنجتون» أن فرسان كانت تصدر الدخن، ولا أجد لذلك سوى تعليل واحد هو «ربما كانت الأمطار والأيدي العاملة في ذلك الوقت أكثر كثافة مما هي عليه الآن. وإلى جانب زراعة الذرة المحلية يزرع «الشمام والبطيخ» وأرض فرسان تساعد على جودة نوعية هذا المحصول.

وتوجد واحات من النخيل في كل من قريتي القصار و«المحرّق» وفي جزيرة «السجيد» قد يصل عدد أشجارها مجتمعة إلى ٢٥٠٠٠ نخلة تعيش على مياه الأمطار والآبار المحفورة في عمق الصخور على بعد يتراوح بين ٢٠ ، ٢٥ متراً، ومعظم هذه الآبار مياهها عذبة تستعمل للشرب والري والسبب في ذلك يعود إلى الطبيعة الصخرية للأرض إذ تحتفظ بمخزون مياه الأمطار التي تسقط في فترات متقطعة إلا أنه قد ثبت أن هذه الكمية سطحية سرعان ما تتحول إلى مياه مالحة في حالة تركيب مضخة على أي بئر منها.

ولا تخلو فرسـان من الأعشـاب والأشجـار من بينهـا «الخـزامى» وأشجار «البشام» غذاء الغـزلان التي تشتهـر بها فرسـان والتي كانت حتى عهـد قريب تتراءى قطعـانها الكبيرة على مشـارف البلدة بل ـ ولكثرتها ـ ينام بعضها في الأطراف من الأحياء السكنية ، ومن المؤسف جداً أن هذا الحيوان الجميل أصبح مهدداً بالانقراض بسبب الإسراف في صيده بعد دخول السيارات وبندقيات «الشوزن» وعدم تقدير من يملكون هذه الوسائل لضرورة الإبقاء على هذه الثروة الحيوانية النادرة ، كما أن ارتفاع أسعاره أدى إلى التسابق إلى إبادته حيث لا يكاد يرى الآن إلا في الشعاب الصعبة التي يحاول أن يوفر لنفسه الحماية فيها .

موانئ فرسان

فرسان كلها موانئ، إذا جردنا كلمة ميناء من مواصفاتها الحديثة وذلك لأن السفن الشراعية والصغيرة تستطيع أن ترسو في أي ساحل منها، ومع ذلك اختار الفرسانيون لأنفسهم ثغوراً مناسبة على السواحل المتعددة للجزيرة نذكر المهم منها:

١ ـ تِبْتا: يقع في الجنوب الشرقي لامتداد فرسان ويعتبر منطلقاً للسفن التي كانت تسافر إلى اليمن، وإلى عدن، وكان الميناء الرسمي لفرسان نظراً لكثرة السفن القادمة إليه من هذين البلدين وتفريغ حمولتها فيه، وقد ذهبت أهميته بعد كساد التجارة مع اليَمنيْن وانصراف الفرسانيين عن التجارة مع الخارج نتيجة للازدهار الذي تعيشه بلادنا ووجود مجالات العمل في مختلف النواحي وانصراف الغالبية نحو التعليم والعمل الوظيفي، وقد جاء ذكر هذا الميناء في بعض الأهازيج التي كان يرددها البحارة عند استعمالهم المجاديف أثناء عودتهم:

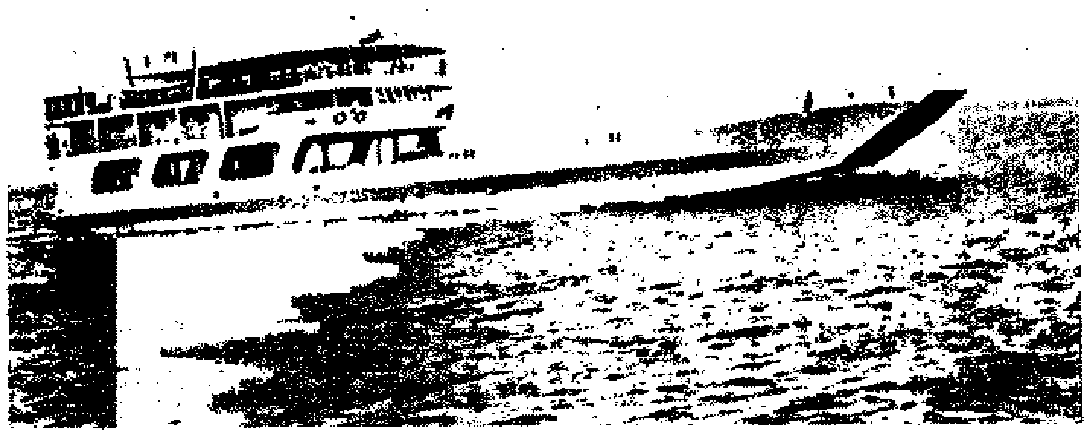
والله لا اعتني راس عَبْرَةْ يعجبني
«تبتا» تشُوقني والرواح فِيسَعْ فِيسَع[1]

٢ ـ جَنَابه: ميناء يقع جنوب غرب البلدة يتميز بعمق مياهه واستطاعته استقبال السفن الكبيرة ومنه كانت تبحر سفن الفرسانيين إلى جزائر «دهلك» على الجانب الغربي للبحر الأحمر وإلى السودان والحبشة، وتوجد بالقرب من شواطئ هذا الميناء مصائد غنية بالمحار المشهور بصفاء جوهر لآلئه كما أنه غني بالثروة السمكية التي تزود الأسواق المحلية بالأسماك حتى يومنا هذا، وشواطئه من أجمل شواطئ الجزيرة. والقادمون إلى فرسان من الزوار يقضون معظم أوقاتهم فيه يستمتعون بزرقة مياهه ونقاء رماله.

«١» فيسع: بسرعة

٣ ـ خِلِّه : بكسر الخاء وتشديد اللام ميناء صغير شمال فرسان كانت السفن الشراعية تتخذه مأمنا لها أثناء هبوب الرياح الجنوبية في فصل الشتاء، وتبحر منه إلى جيزان طوال أيام هذا الفصل، وقد ذهبت أهميته الآن بعد أن استبدل الشراع بالآلة وبعد أن أصبح ميناء «الخور» ـ الذي سيأتي الحديث عنه ـ هو الميناء الرسمي .

٤ ـ الخور: الميناء الرسمي الحالي للجزيرة، توجد فيه المباني الحديثة والمنشآت البحرية الحكومية التي قامت ببنائها المديرية العامة لسلاح الحدود وبه رصيف حديث لاستقبال السفن القادمة من جيزان أو من غيرها، وفيه الآن يبنى ميناء حديث موسع تقوم بتنفيذه شركة «كوستين» الإنجليزية على مساحة من الأرض مقدارها ١٠٠٠م٢ . هذا الميناء الحديث مدة بنائه سنتان وسيظل ثلاث سنوات تحت إشراف الشركة المنفذة، ولعله بعد إتمامه يغير ملامح الحياة في فرسان ويأتي بناء هذا الميناء ضمن خطة المؤسسة العامة للموانىء وتبلغ تكاليفه عدة مئات من ملايين الريالات وسيزود بمحطة خاصة للكهرباء ومحطة خاصة لتحلية مياه البحر المالحة . وميزة هذا الميناء أنه مأمن طبيعي للسفن التي ترسو فيه بسبب هدوء أمواجه وموقعه في وسط مجموعة من الجزر الصغيرة والجبال . كما تكثر على جنباته أشجار «الشوري» وفي الجهات الداخلية منه توجد مناظر طبيعية خلابة تظهر عوامل التعرية في صخوره المزروعة وسط المياه . وأهم ميزة له أنه أقرب نقطة لميناء جيزان .



▲ صورة المعدية (فرسان ـ هدية وزارة الداخلية) تقوم بنقل الركاب

القرى التابعة لفرسان

تضم جزيرة فرسان عدة قرى تقع في داخلها أي لا تنفصل عنها بحاجز مائي وهذه القرى هي :

١ ـ المحرق : موقعها جنوب بلدة فرسان على بعد تسعة كيلومترات ، يبلغ عدد سكانها خمسمائة نسمة تقريباً يقطنون فيها بصفة دائمة وفيما مضى كان عدد السكان يرتفع فيها إلى الضعف أيام الصيف بسبب انتقال بعض الفرسانيين إليها في موسم الرطب لأن بها مجموعة من النخيل سبقت الإشارة إليها ، وبالقرب من هذه القرية توجد منطقة وادي مطر الأثرية ، ومن مميزاتها وجود سمك «السيجان» في سواحلها كما يشتهر أهلها بإتقان صنع شباك صيد الأسماك وإجادة رقصة «الدانة» التي تنفرد بها فرسان .

٢ ـ القصار : مصيف الفرسانيين تبعد خمسة كيلومترات نحو الجنوب لا يسكنها أحد إلا في أيام الصيف حيث ينتقل إليها معظم الناس لقضاء موسم الرطب من ناحية وهو موسم يمتد قرابة ثلاثة شهور ، وبسبب عذوبة مائها وقربه من سطح الأرض من ناحية أخرى . بها عدد لا بأس به من النخيل وبها منطقة الكدمي الأثرية ، وبالقرب منها قلعة لقمان السالفة الذكر .

٣ ـ المسيلة : تقع في الشمال ، وهي أقرب القرى إذ لا تبعد سوى كيلومتر واحد . سكانها جميعهم من البدو ، ويطلق عليهم اسم «العبوس» . منازلهم حتى عهد قريب كانت مبنية من سعف النخيل ، والمرأة فيهم تلبس الملابس السوداء الثقيلة وتضع النقاب على وجهها بصفة دائمة ، وكانت تتزين بـ «الوشم» في وجهها ومعصميها ، ومن الصعب جداً أن تكشف عن فمها حتى في بيتها وبين ذويها وأهلها ، وقد انتهت الآن عملية التجميل بالوشم كما انتهت عملية ضرب «الوَدَع» التي كانت كبار السن منهن يمارسنه كمصدر من مصادر الرزق ، وذلك بعد تحسن الأحوال المعيشية ودخول الجيل الجديد إلى المدارس ، ومن عاداتهم التي انقرضت الانتقال من المنزل الذي يموت فيه فرد من أفراد العائلة وهذا أيضاً يعود إلى انتشار الوعي والتعليم بينهم .

٤ ـ الْحُسَينّ: بعدها عن فرسان ثلاثون كيلومترا وسكانها قليلون يشتغل معظمهم بالزراعة في مواسم الأمطار ويقوم بعضهم بتربية الجمال التي يعتمدون عليها في معيشتهم.

٥ ـ صَيرّ: أكبر قرى فرسان تبعد عنها حوالي خمسة وأربعين كيلومترا. يمتاز أهلها بالحيوية والنشاط. ازدهرت فيها تجارة اللؤلؤ قديماً كما ازدهر فيها صيد الأسماك حديثاً. عدد سكانها يقارب ألف نسمة يعمل معظمهم في صيد السمك وتجارته ويساهمون بمقدار كبير في تزويد أسواق مدينة جدة بالأسماك المجففة كما يساهمون في تزويد أسواق مدينة جيزان بالأسماك الطازجة. يتميزون بالجدية في كل شيء ورغم ذلك فهم مولعون بالألعاب الشعبية ومحافظون عليها.



الجزر التابعة لفرسان

لقد سبق الحديث وذكرنا أن جزيرة فرسان والجزر التابعة لها تشكل أرخبيلاً من الجزر المتناثرة المتقاربة تقع في الطرف الجنوبي الشرقي للبحر الأحمر وفيما يلي إيضاح لأسماء هذه الجزر التي تربو على ثمانين جزيرة :

١ ـ فرسان الكبرى .	٢ ـ السجيد «فرسان الصغرى»
٣ ـ قُمّاح	٤ ـ دمسك
٥ ـ زفاف	٦ ـ جزيرة ابكر
٧ ـ الدسان	٨ ـ أبوشورايه
٩ ـ جزيرة قاسم	١٠ ـ سولين
١١ ـ عبلات	١٢ ـ منظر
١٣ ـ سلوبه	١٤ ـ الدويّمه
١٥ ـ العواشق	١٦ ـ عكرم
١٧ ـ أزرط	١٨ ـ ذودفر
١٩ ـ الغزا	٢٠ ـ أم الوزف
٢١ ـ زَبا	٢٢ ـ سمر
٢٣ ـ فرخ سمر	٢٤ ـ رامين
٢٥ ـ مرين	٢٦ ـ صَيِّلْ زَبا
٢٧ ـ الهنديه	٢٨ ـ المتواصلة
٢٩ ـ غلام	٣٠ ـ قماري
٣١ ـ باقل	٣٢ ـ أبو المَدّه
٣٣ ـ مقمر	٣٤ ـ هديفه
٣٥ ـ وشكه	٣٦ ـ ذوحراب
٣٧ ـ ذوثلاث	٣٨ ـ أم السرو
٣٩ ـ أبوحُمَّد	٤٠ ـ أم الشوك

٤١ ـ ساسوه
٤٢ ـ الطرق
٤٣ ـ كيرّه
٤٤ ـ أم الحجر
٤٥ ـ الأجهان
٤٦ ـ شُمَهْ
٤٧ ـ مَسَد
٤٨ ـ البغله
٤٩ ـ مطحن
٥٠ ـ المالبح
٥١ ـ سمر القحمة
٥٢ ـ كُتُمْبُلْ
٥٣ ـ فيران
٥٤ ـ شُرَعْ
٥٥ ـ أبوشقور
٥٦ ـ سواحل
٥٧ ـ ركبين
٥٨ ـ غراب
٥٩ ـ الضاحك
٦٠ ـ ذو الراكه
٦١ ـ أم الكذْف
٦٢ ـ أحبار
٦٣ ـ آمنه
٦٤ ـ أم الأَصَلْ
٦٥ ـ أم الحزف
٦٦ ـ ذو الكُنُبْ
٦٧ ـ قاضيه
٦٨ ـ العولتين
٦٩ ـ دوشك
٧٠ ـ سِيأ
٧١ ـ أم الأزافي
٧٢ ـ أبو الأبصار
٧٣ ـ أم القبه
٧٤ ـ شريف
٧٥ ـ عبد
٧٦ ـ جبل شِعرَه كبير
٧٧ ـ جبل شِعوه صغير
٧٨ ـ جبل العير
٧٩ ـ حافر
٨٠ ـ الوصم
٨١ ـ الشعبان
٨٢ ـ أبوشعفه
٨٣ ـ فرافر
٨٤ ـ أبو الشرائع

الجزر المسكونة

ا ـ فرسان: وقد سبق الحديث عنها.

ب ـ السجيد: «فرسان الصغرى» موقعها في الشمال الغربي من فرسان وتأتي بعدها من حيث المساحة وعدد السكان تضم مجموعة من القرى ويفصلها عن فرسان ممر مائي «قناة» لا يزيد عرضه عن ثلاثمائة متر كما لا يزيد عمقه عن ثلاثة أمتار وقد سبق الحديث عن هذا الممر وسبب تسميته بالمعادي. أرض هذه الجزيرة منبسطة وسواحلها جميلة تزينها أشجار النخيل. تتخذ منتجعاً أيام الصيف ويتم الانتقال إليها على ظهور الجمال في مسافة تقدر بحوالي ٣٥ كيلومترا. ولعل الفرساني تربطه ذكريات بذلك الممر الذي تعبره الجمال محملة بالأمتعة والنساء والأطفال معرضا نفسه لاندفاع التيار وبلل الملابس والأمتعة ولكنه مع هذا يجد في ذلك لذة وشوقاً إلى موسم الرطب الذي يمتد إلى ثلاثة شهور تقريباً.

○ قرى السجيد

١ ـ المحصور: سكانها من البدو «العبوس» الذي سبق الحديث عنهم في فرسان. تقع جنوب غرب بلدة السجيد ويحكم قربها منها فأهل القريتين يشكلون وحدة واحدة في شؤون حياتهم المعيشية.

٢ ـ خُتُب: تبعد عن قرية السجيد ما يقرب من خمسة عشر كيلومتراً وتقع على الساحل الشمالي الغربي لهذه الجزيرة. مياهها عذبة وبها مجموعة من أشجار النخيل. يشتغل أهلها بصيد اللؤلؤ والأسماك.

٣ ـ خوله: تقع شمال السجيد ولم تعد الآن مسكونة بعد هجرة أهلها منها وهي الآن عبارة عن أطلال.

٤ ـ أبوالطوق : أيضا في الشمال ، تسكنها عائلة «الشبيلي» التي منها الشاعر الشعبي المعروف لدى الفرسانيين «حميد الشبيلي» وهذه العائلة كانت معروفة بالثراء وامتلاك العديد من السفن الشراعية أيام ازدهار تجارة اللؤلؤ .

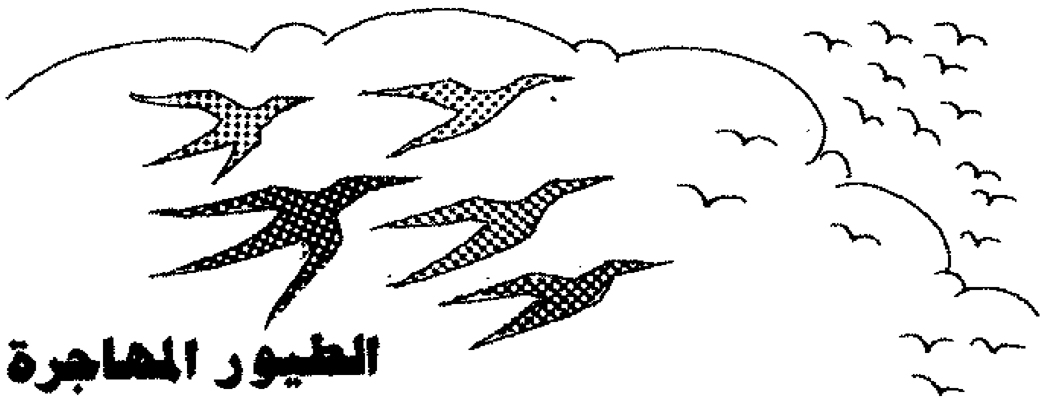
ومن المتوقع أن تتحسن أحوال السجيد وقراها بعد بناء «الكوبري» الذي سيربط بينها وبين فرسان ويبلغ طوله ٦٥٠ متراً وسوف يبنى فوق الممر المائي الذي تحدثنا عنه .

❁ جزيرة قُمّاحْ

تبعد عن فرسان نحو ستة كيلومترات بحراً وتقع في الجنوب الغربي منها ، ومن ناحيتها الشمالية والجنوبية تضيق المسافة بين الجزيرتين إلى كيلومتر واحد تقريباً ، عدد سكانها قليل لا يتجاوز مائتي نسمة مشكلتهم الرئيسية عدم توفر الماء العذب في جزيرتهم وقد كانوا قبل بناء محطة تحلية مياه فرسان يجلبون الماء من جيزان على بعد أكثر من ٧٥ كيلومترا بواسطة قوارب الصيد ، وقد عرضت عليهم الدولة فكرة الانتقال من هذه الجزيرة بعد تعويضهم وبناء مساكن مناسبة لهم في أي مكان يختارونه في فرسان ولكنهم أبوا متمثلين بقول الشاعر العربي :

بلاد ألفناها على كل حالة وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن
وتستعذب الأرض التي لا هوىً بها ولا ماؤها عذبٌ ولكنها وطن

المهنة الرئيسية لأهلها حالياً صيد الأسماك ، وتعتبر محطة هامة تتجمع فيها سفن الصيد في الوقت الحاضر كما كانت تتجمع فيها سفن صيد اللؤلؤ قديماً . مساحتها أيضاً صغيرة إذ لا تزيد عن ٣×٤ كيلومترات مربعة . ولأهلها ارتباط وثيق بسكان جزيرة «بَكَلاَنْ» اليمنية لقربهما من بعضهما كما أن بين أهل الجزيرتين قرابات في الدم والمصاهرة والتقاليد والعادات باقية حتى الآن .



الطيور المهاجرة

من العادات المشتركة بين سكان الجزيرتين احتفاء أهلهما بقدوم الطيور المهاجرة سنوياً في شهري أبريل ومايو من كل عام، ففي هذين الشهرين تفد إلى هاتين الجزيرتين وما يجاورهما من الجزر الأخرى أعداد كبيرة من الطيور الجميلة القادمة من أماكن بعيدة على سطح الكرة الأرضية وخاصة من دول أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية . يؤكد ذلك وجود خواتم معدنية في أرجل بعضها نقشت عليها أسماء بعض الدول كألمانيا الشرقية، وألمانيا الغربية، والاتحاد السوفيتي .

في موسم قدوم هذه الطيور يعود الغائبون من أسفارهم ليشاركوا ذويهم هذه المناسبة المتميزة عندهم بألعاب شعبية خاصة وينشدون فيها أشعاراً رقيقة في تجمعات نسائية في بيوت العرائس، وتبدأ هذه الأفراح والرقصات بمجرد صيد أول طائر من النوع الذي يسمونه «الأكحل» أو «الجرجوح» إذ يحمل أحدهم الطائر على إشارة بارزة ويتجمع حوله الناس ينقرون دفوفهم وطبولهم يغنون ويرقصون معلنين بداية الموسم الراقص، ومن أغانيهم البسيطة الشعبية :

أكحل قال يعقوبي «١»   شلوا بي وحطوا بي
في السطحة «٢» تهنوا بي   ما اسوى بروحي

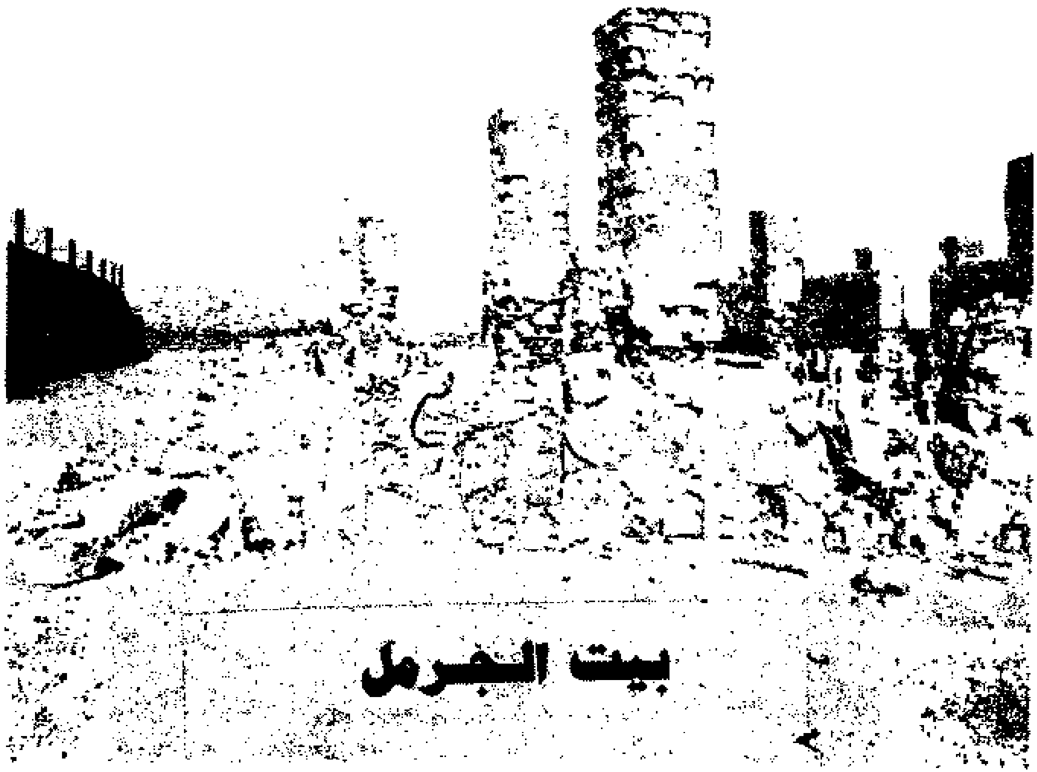
* * *

أكحل جيت لك عاني   قد تركت خلاني
وانت ما تهنيني   ما اسوي بروحي

«١» يعقوبي : أي يا عقوبي وهو اسم لأحد الأشخاص
«٢» السطحة : مؤخرة السفينة الشراعية التي يجلس عليها الربان

وكلما ازدادت كثافة الطيور كلما ازدادت الأفراح، وتتم عملية الصيد بنشر شباك السمك القديمة على أغصان الشجر - الذي لا يوجد في هذه الجزر والذي يركب فيها تركيباً أي يأتون بأغصان كبيرة بأوراقها وشوكها ويغرسونها في التربة - «طبعاً الأغصان تلك تؤخذ من فرسان الغنية بالأشجار» وبعد صيد كميات كبيرة من الطيور تذبح وتستخرج كميات من الدهن منها تجمع في قوارير وتقدم هدايا للأصدقاء والكميات الفائضة عن الحاجة تباع بأثمان تتناسب مع قيمة الموسم.

ومحظوظ جداً من يحصل على طائر حي «هدية» فإنه سيحتفظ به في قفص خاص مصنوع محلياً من سعف النخيل إلا أن هذه الطيور لا تعيش طويلاً بسبب إضرابها عن تناول أي نوع من أنواع الطعام ربما احتجاجاً على فقدانها حريتها.



بيت الجرمل

هذه الجزيرة لها موقع استراتيجي هام، فهي تشرف على الممر الدولي للبحر الأحمر وعلى السفن العابرة من قناة السويس في الشمال إلى باب المندب في الجنوب وبالعكس. وقد استرعى هذا الموقع انتباه «الألمان» إبان «الحرب العالمية الأولى» فقاموا ببناء مستودع كبير لهم فيها يعتقد أنهم كانوا يهدفون من ورائه إلى توفير الذخيرة لسفنهم الحربية المتجولة في البحر الأحمر أثناء تلك الحرب. هذا البناء الكبير مازالت معظم بقاياه موجودة حتى الآن وهو عبارة عن بناء كبير تبلغ مساحته حوالى ٥٠×٢٠ متراً مربعاً يطلق عليه العامة من الناس اسم «بيت الجرمل» وهو تحريف لكلمة « Germany » الإنجليزية ومن المعتقد أنه بُني في أواخر تلك الحرب، ويذكر المعاصرون لبنائه أن الألمان لم يكملوا بناءه وتركوه دون سقف، ولاتزال آثار أقدام وأحذية العمال الذين بنوه واضحة على سطح سوره، ولعل عدم إتمامه يعود إلى انتهاء الحرب سنة ١٩١٨م إذ بانتهائها انتهى الغرض الذي بُني من أجله.

وعلى الرغم من الجهد الهندسي المبذول فيه إلا أن كثيراً من أعمدته قد انهار بسبب عوامل التعرية والتآكل الناتج عن ذوبان الأملاح الموجودة في حجارته بنسبة عالية وإلى ارتفاع نسبة الرطوبة على الساحل.

وتمتاز سواحل جزيرة قماح بنوع خاص من الحيوانات البحرية يطلق عليها محلياً اسم «رخام» وهو قواقع صغيرة ناصعة البياض الحبة الواحدة منه أكبر من حبة الحنطة بقليل، يتم صيده بواسطة أخشاب أو عيدان توضع على الشاطىء فتعلق بها حبات هذا الكائن، وبعد أخذها وتجميعها تعرض للشمس عدة أيام حتى تجف المادة اللحمية الموجودة بداخلها وتنتهي الرائحة الكريهة الناتجة عن تحلل تلك المادة، بعد ذلك تقوم النساء بثقب الحبات عن طريق حك رؤوسها على حجر ناعم الملمس، وعندما يتجمع المقدار الكافي لدى صيادي هذا الكائن البحري يقومون بنظمه في خيوط رقيقة على شكل عقود ثم يصدر إلى أسواق البيع في الحبشة أو عدن، وقد كسدت هذه المهنة صيداً وتجارةً ولم تعد تمارس إلا كنوع من التسلية والاحتفاظ به للذكرى.

العادات

في فرسان

إن استقلالية فرسان من حيث الموقع والبيئة ووجود البحر كحاجز منيع بين مجتمعها والمجتمعات الأخرى قد أوجد بين سكانها عادات وتقاليد وفنون شعبية لا توجد لدى الآخرين، وربما تكون موجودة ولكنها تتخذ طابعاً خاصاً عند الفرسانيين، من هذه العادات:

الشَّدَّة:

وهي مأخوذة من «شد الرحال» لأن حب التغيير طبيعة من طبائع الإنسان التي جبل عليها. وقضاء الصيف في أماكن تخفف من وطأته ظاهرة اجتماعية سائدة بين الكثير من سكان هذه الأرض، فإذا ما جاء الصيف بحره اللافح وشمسه المحرقة اشتد شوق الإنسان للنسمة العليلة تجفف عرقه والظل الوارف يرتمي في أحضانه، ومن أجل ذلك تجده دائماً يبحث عن عوامل الراحة على السواحل الحالمة أو في الواحات الوارفة أو بجانب الينبوع المتدفق ولأن أهالي فرسان قديماً لا تمكنهم ظروفهم من الانتقال إلى أي مكان آخر بسبب إحاطة البحر بهم من ناحية، ولصعوبة الانتقال وبعد المصايف عنهم من ناحية أخرى بالإضافة إلى عوامل أخرى منها صعوبة المواصلات وضعف النواحي المادية، كل هذا دفعهم إلى أن يكيفوا أنفسهم داخل جزيرتهم ويوجدوا لأنفسهم أماكن تتلاءم وحياة الصيف، فاتخذوا بعض القرى وبعض الجزر متنجعات يذهبون إليها للراحة والاستجمام فترة تمتد بامتداد الأيام التي تشتد فيها الهاجرة متمتعين بظلال النخيل وثمارها في كل من قريتي القصار والمحرق وجزيرة السجيد التي سبق الحديث عنها.

الشدة عند الفرسانيين لها طابع خاص ومراسيم خاصة فهي تبدأ من منتصف شهر مايو من كل عام تقريباً في جو شاعري وأمسيات تتقمص فيها السماء بالغيوم الموسمية ابتداء من بعد ظهر كل يوم إذ لا تخلو من أزيز خفيف للرعد وسقوط زخات خفيفة من حبات المطر.

في هذا الجو الشاعري اللطيف يحمل الفرسانيون أمتعتهم على ظهور الجمال وتبدأ قوافلها في المسير حاملة العديد من الأسر لتصل إلى المصيف عند غروب الشمس أو بعد الغروب.

العرائس والشدة

إذا كانت الأسرة التي ستشد بها «عروس» فإن الأمر يتخذ شكلاً آخر. تتزين العروس بهذه المناسبة ويجتمع في منزلها العديدات من صديقاتها وجاراتها ينشدن أو يغنين أغان خاصة بألحان خاصة أيضاً تعرف بأغاني «الشدود» بالدال المهملة يؤلف كلماتها شعراء شعبيون يصفون فيها الجو الشاعري وساعة الخروج ومظاهر الوداع ومظاهر الاستقبال ومدى رزانة وتعقل الجمل الذي يحمل العروس كما في النموذج التالي للشاعر عبدالله عمر مفتاح :

يقول بوعمر أجاني قمري اليمانية[1] قلّي ابني نشايد وأنا عندي ردودها
وأرباب المليح كروا[2] له أعياس[3] ثمانية حَطوا عَصْبة السّديره[4] وارخو قيودها
معا مفرق الطريقين قال أسمعونيه يا أصحاب الجمال هذي الرِّمْيه[5] وجودها
وفي وقت الدخول تلقوا له بالمجانية[6] في السديرة الذي هويّه زايد برودها
وفاح الصندلي مع العودي في المكانيه ليلة ما وصل كم ناس حرّم رقودها

ويؤرق هذا الموسم الشاعر عبدالله محمد عبدالله علي وهو في غربته في مدينة جدة فيسطر حنينه في هذه المقطوعة التي تغنى بها في رقصة «الدانه» :

يقول خو علي هذي مواعيده حتم النخل والمجنى ولعب الدان
والقمري الذي يومي تغاريده يردد بها فوق عالي اللّغصان[7]
يغنى غِنى[8] الفرحان في عيده اللي ارتاح قلبه يوم لقي الخلان

(١) اليمانية : قرية القصار لوقوعها جنوب فرسان
(٢) كروا : أجرّوا
(٣) أعياس : جمع عيس وهي الجمال
(٤) السديره : الجمل الأول في القافلة
(٥) الرمية : سيأتي ذكرها وتعريفها
(٦) المجانيه : الزنابيل التي يجنى فيها الرطب
(٧) اللغصان : الأغصان
(٨) غنى : غناء

ودمـعـي سالْ وقـلبـي زاد تنهيـده   على الـلي هزهـم الـشـوق لِلّوْطـان[1]
ذا سافـر وذاك الـتـذكـره في ايـده   وهـذا حملوا عفـشـه على المـيـزان
ويـارب كل واحـد للوطـن عيـده[2]   وخـلَّ الـشـمـل يرجـع مثلما قد كان

ومن المظاهر التي تحدث عندما تنقل العروس إلى المصيف أنها تحمل مع رفيقة لها مماثلة لها في السن على جمل تعلق على قوائمه الأمامية أجراس صغيرة يسمونها «الجروز» تحدث أنغاماً منتظمة كلما تبختر الجمل في مشيته، وعلى رأس الجمل توضع «العَصْبَة» وهي قطعة من القماش المطرز بالخرز والفصوص الملونة اللامعة، يوضع لها إطار من الرخام ـ الذي تحدثنا عنه ـ وعند بدء السير يكون هذا الجمل في المقدمة تتبعه بقية الجمال المحملة ببقية أفراد العائلة والأمتعة.

وأصحاب الجمال محظوظون هذا اليوم لأن أجورهم مرتفعة ولأنهم سيحصلون على «الرَّمْية» والرمية عبارة عن كميات من الحلويات و«المشبَّك» (حلوى مصنوعة محلياً) والمعلبات والبسكويت، وقد سميت بهذا الاسم لأنها تُرمى لأصحاب الجمال في الطريق في مكان به تكوينات جبلية ناعمة الملمس، ويترك النصيب الأوفر للأقوى منهم عندما ينقضون عليها في حرب مرحة واشتباكات ضاحكة يحصل فيها كل واحد على نصيبه حسب جهده المبذول. ويمثل ما تودع به العروس من حفاوة في فرسان تستقبل في المنتجع الذي وصلت إليه.

والأطفال في مناطق النخيل لهم ذكريات لطيفة في هذا الموسم فعندما يستوي الرطب ـ وعادة ما يكون ذلك في أيام تشتد فيها رياح الصيف الشمالية ـ تجد كلاًّ منهم قد حمل زنبيله الصغير «يَتَسقَّطْ» ما تجود به النخيل المتمايلة وقت الهاجرة، وقد يغلب الشقاء على بعضهم ـ عندما يخونه الحظ ـ فيصعد نخلة لا يملكها ليعوض ما فاته» والويل له إن رآه ملَقِّح النخلة «مؤبرها» عندئذ قد يسقط الطفل نفسه من منتصف النخلة وتتحول تلك الظهيرة إلى مطاردات وعلقات ساخنة تصبح فيما بعد ذكريات ذات شجون في الكِبَر لأنها شيطنات بريئة. وفي هذه الشيطنات يتغنى الشاعر عبدالمحسن يوسف ـ أحد شعراء فرسان الشبان ـ ويسجل انطباعاته عن «زنبيل السُّقْطه» في القطعة الشعرية هذه:

---

(١) للوطان: للأوطان
(٢) عيده: أعده

كم نرى الأطـفـال في عز الظـهـيرة
ينهلون الظـل ممزوجـاً بأنـفـاس الهجـيرة
والـزنـابيـل بأيـديهم زنـابيـل صغـيرة
والـريـاح الهـوج تمنحـهم غبـاراً وتثـيره
فيـغـنـون أنـاشـيـداً وآهـات كثـيرة
يجمعـون الـرطـب الملقى بأرواح صبـورة
إنـها المـاضـي مثـير والطـفـولات أثـيره

والفرساني بوجه عام إنسان عاطفي وشديد الارتباط بجزيرته لذلك تجده عندما يغترب عنها يرسل شجونه وآهاته مشحونة بألم الغربة فيترجم حنيناً وشوقاً وأمنيات للعودة. هذا أحد أبنائها «علي محمد صيقل» يقول:

عنـدمـا كنت في مدينـة «الطـائف» شدني الحنين إلى فرسان تلك الجزيرة الحالمة حبيبتي ومسقط رأسي فرحت أعبر عن حنيني بهذه الأبيات:

فرسـان يا حبيـبـتي يا أمـي الحـنـون
إلـيـك يا جزيـرتـي تحيـة من الـعـيـون

* * *

يا همسـة . . يا بسـمـة . . يا وتـراً على فمـي
يا نغـمـةً في أضـلعـي أحـسـهـا وفي دمـي

* * *

يا رقـة تذيـبـني بطـرفـهـا الكحيـل
يا فتنـة يـا روعـة أنهلهـا عند الأصيـل

* * *

أحـن يا جزيـرتـي إلى مجالس الـسـمـر
أتـوق يا جميـلتي إلى ابتسـامـة القمـر

* * *

فكــم حلمــت أنــني　　بشــاطىء القُــرى[1]
وكــم رأيــت زورقــاً　　مدلّـه الشراع قد سرى

* * *

وعــنــدمــا أفــقــت لم أجــد سوى صغــيرتــي
تقــول يا أبــي أود　　أن أرى جزيــرتــي

* * *

مشــتــاقــةً تــوّاقــةً　　لظــلــهــا الظــليــل
لمائهــا . . لشمسهــا　　أمــواج ثغــرهــا الجميل

* * *

لإخــوتــي الــصــغــار . . . إنهــم　　أحــبــتي
لصــبــيــة بدونهــم　　لا أستــسيــغ لعبتي

* * *

متــى نعــود ننهــل الــصــفــاء من ضيــائــهــا
متــى نعــود نفــعــم الــفؤاد من روائــهــا

* * *

متــى نعــود إنهــا　　أنــشــودة وأغــنــيــة؟
متــى نعــود إنهــا　　ترنــيــمــة وأمــنــيــة؟

ولــو أضفت إلى هذه المقطوعة ما تغنى به شعراء فرسان الشعبيون لاستغرق مني صفحات كثيرة ولعل صاحب هذه المقطوعة يقوم الآن بجمع ذلك التراث ليصدره في مؤلف خاص . ولعله من المناسب هنا أن أورد بعض خواطري عن البحر في مقطوعة شعرية كتبتها تحت عنوان «مناجاة على الشاطىء»

يا ميــاه البــحــر غنِّ　　غنِّ فالــشــط معنَّى
همــسات المــوج لحنٌ　　فيــك يا بحــر تُغنَّى

* * *

(1) القرى : اسم شاطىء في فرسان

امنح الشاطىء عطفاً امنح الشاطىء قبلة
أعطنا حباً وناج كل عين كل مقله

* * *

هذه الشطآن مهدي وعليها كنت ألعب
يرقص الموج عليها وأنا أشدو وأطرب

* * *

كم عشقت الشمس إشراقاً وناجيت الغروبا
ورنا طرفي هياماً فيك يا بحر وذابا

* * *

جُن في حبك شوقي وتسامى فيك حبي
ونما فيك حناني وهفا نحوك قلبي

* * *

هذه الشطآن كانت مرتعى منذ الطفولة
هذه الخلجان باتت حضن أحلامي الجميلة

* * *

ليت روحي فيك تغدو موجة تنساب حُرّة
ليتني يا بحر أمسي منك في الآفاق قطرة

* * *

كم تغنيت على الشط وناجيت الشراعا
لم يزدني ذاك إلا فيك حبّا والتياعا

* * *

فاعطنا يا بحر حباً تزدهي فيه الأماني
واعطنا يا بحر فيضاً للمغني يهدى الأماني

* * *

هذه قطرات من بحر مما كتبه الفرسانيون عن جزيرتهم ، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن لجو هذه الجزر نكهة خاصة ترتاح نفوس أبنائها إليها ، ولعل هذه العدوى تنتقل إلى نفوس قرائنا الأعزاء .

موسم سمك الحريد

أظنني أشرت في موضع سابق من كتابي هذا إلى أن الظروف البيئية الخاصة بسكان هذه الجزر قد جعلتهم يستغلون ما يجود به البحر عليهم من خيرات سواء في معيشتهم أو في مناسباتهم التي يرفهون بها عن أنفسهم، ومن أشهر هذه المناسبات مناسبة «موسم الحريد»، وقد يسأل سائل: ما هو الحريد؟ وفي اعتقادي أنه اسم معروف لدى سكان السواحل لنوع من الأسماك الوديعة تعرف لدى سكان الحجاز - وخاصة جدة باسم «الماشي» والاسم العلمي له هو «البلطي». هذا النوع من الأسماك يحتفل سكان جزيرة فرسان بقدومه السنوي كما يحتفل سكان جزيرة قماح بقدوم الطيور المهاجرة لأن هذه الأسماك - في أغلب الظن - مهاجرة أيضاً وقدومها يتزامن مع قدوم الطيور فكلها تأتي في شهري أبريل ومايو من كل عام.

هذا السمك لا يظهر في كل السواحل المحيطة بفرسان ولكنه عادة ما يظهر في الشواطىء ذات المياه الضحلة الهادئة، وهو هنا يخرج في مكان يدعى ساحل «القَبْر». ولا يوجد أي تعليل في اختياره هذا المكان سوى أنه يريد تأمين الحماية لنفسه أثناء عملية التكاثر بعيداً عن الحيتان الكبيرة المفترسة وبعيداً عن هياج الأمواج التي قد تعكر عليه هدوءه وتعطل عليه الممارسة الطبيعية التي يتم بها تكاثره. من هذا المنطلق فهو يأتي إلى مكان أمين تحميه وتحيط به الجبال وأشجار الشورى البحرية. الجبال على هذا الساحل تكوينها الطبيعي على شكل مظلات ترتفع عن أرض الساحل من مترين إلى ثلاثة أمتار فالبحر هنا منخفض عن اليابسة وهذا هو السبب الذي يجعل هذا المكان قليل التأثر بهبوب الرياح، كما أن عدم العمق هنا لا يسمح بوجود أمواج كبيرة، وبسبب هذين العاملين تتوفر الحماية المطلوبة للتزاوج والتفريخ.

ومن الغريب جداً أن هذا السمك لا يظهر إلا فترة واحدة من كل عام. هذه الفترة تمتد من ثلاثة إلى سبعة أيام تبدأ من صباح اليوم الخامس عشر أو السادس عشر من الشهر القمري وتمتد حتى العشرين أو الثاني والعشرين منه. فإذا ظهر في شهر جمادى الثانية مثلاً فإن

ظهوره في هذا الشهر يستمر ثلاثة أعوام أما في السنة الرابعة فسوف يظهر في شهر رجب. أما بالنسبة للسنة الميلادية فظهوره يتم في الفترة الواقعة بين شهري أبريل ومايو كما سبق، وظهوره يكون في الصباح ومن النادر جداً خروجه إلى الشاطيء بعد الظهر.

آراء الأقدمين فيه

كما ذهب الأقدمون بعيداً في تفسير ظاهرة «المغويّ» ذهبوا بعيداً أيضاً في تفسير ظاهرة خروج هذا السمك في زمن معيّن ومكان معين ـ وهكذا الإنسان يلجأ إلى الخيال دائماً عندما تعجزه البراهين العلمية ـ لقد ذهب الأقدمون في تعليلاتهم إلى أن هذه الأسماك قادمة من بلاد الهند وأن أسماكاً أخرى تختلف عن الحريد تظهر عند الهنود في نفس الموسم تهديها شواطيء البحر الأحمر إلى الشواطيء الهندية مقابل ما تهديه شواطيء تلك البلاد إلى سكان هذه الجزر، ولعل هذا القول مع ما فيه من بعد عن الواقع المرئي يحتوي على شيء من الواقع العلمي، إذ لا يستبعد أن تكون هذه الأسماك قادمة من المحيط الهندي أثناء هجرتها بحثاً عن المناخ الملائم في المياه الدافئة، وأظنني محق إن وجهت الدعوة إلى أصحاب الاختصاص في بلادنا من جامعات وغيرها في أن يوجهوا عناياتهم واهتمامهم إلى دراسة هذه الظواهر ومتابعتها فهي جديرة بالاهتمام.

سمك وتربية حمير

في بداية الشهر القمري الذي سيظهر فيه الحريد ـ أو قبله بأيام ـ تبدأ الاستعدادات لاستقباله، وقبل وجود السيارات كان الشبان يحتنون بتربية الذُّلُل «الجمال» التي يمتطونها في الذهاب إلى منطقة الحريد والغالبية من هؤلاء الشبان يركزون عنايتهم على تربية «الحمير» ويقومون بتغذيتها تغذية جيدة ويصنعون لها العصائب المزركشة لوضعها على رؤوسها كما تعلق في أعناقها أجراس صغيرة تبعث أنغاماً موسيقية أثناء الركض لأن ساعة العودة ستتحول إلى سباق بين هؤلاء الشباب كل واحد يريد أن يكون الأول في الوصول ليزف البشرى إلى البلدة بظهور السمك وكدليل على ذلك يرفع يديه وفي كل منهما سمكة كبرهان على صحة ما يقول.

تبدأ المسيرة التي يشترك فيها كل الفرسانيين تقريباً من الرجال والشباب والصبيان بعد صلاة الفجر ليصلوا إلى منطقة ظهور الحريد عند طلوع الشمس أو قبلها بقليل، وهناك يتوزعون على المنطقة التي يبلغ طولها حوالي ثلاثة كيلومترات على شكل مجموعات صغيرة تتحول كلها إلى عيون مراقبة للبحر، وأول عمل يبدأون به هو تناول طعام الفطور، والفطور لا بد أن يكون الكَينْ «النبق» عنصر أساسي فيه ـ لأن موسم الحريد واستواء النبق يكونان في وقت واحد ـ بالإضافة إلى الخبز والبسكويت والحلويات كما يصنع الشاي على الحطب ـ قبل وجود السخانات «الترموس» ـ فإذا ما ظهرت أول قطعة من قطعان السمك ـ ويسمونها «سواد» ـ لدى أفراد أي مجموعة فإنهم يصيحون «أدوال» «أدوال» وكلمة أدوال معناها «الشباك» أي اسعفونا بالشباك، وحينئذ يسرع المختصون ـ وأغلبهم من صيادي السمك المعروفين ـ جرياً بالنزول إلى البحر ناشرين شباكهم للإحاطة بالسواد الذي ظهر، فإذا ظهر سواد آخر تكررت العملية، وإذا تم كل ذلك بنجاح عمت الفرحة العارمة الجميع وتعالت صيحاتهم وزغاريدهم ابتهاجاً بذلك، ويبدأ الصيادون يقتربون بالسمك إلى الشاطىء إلى عمق نصف متر تقريباً. عندئذ تبدأ مجموعات الحريد بالاضطراب بسبب استشعارها قرب الشاطىء منها، لكنهم يضاعفون له الشباك ويتركون ثلاثة أو أربعة أشخاص من أهل الخبرة يقومون بمراقبته.

وحتى لا تتعرض هذه الشباك للتمزيق أثناء انقضاض الناس فإنهم يلجأون إلى جمع أكوام من شجر ينبت بالقرب من الساحل يسمى «الكِسْب»، وبعد توفر الكمية اللازمة يتم اختيار مجموعة من الموثوق بهم ليقوموا بنقل ذلك الشجر لبناء حائط حول السمك بدلاً من الشباك التي يتم سحبها نهائياً، ومع بداية بناء ذلك الحائط يبدأ العد التنازلي للانطلاق ويبدأ مع ذلك توتر الأعصاب لدى الكل وما يكاد يتم تسوير السمك حتى يصيح العريف ـ الذي تم اختياره ـ قائلاً «الضويني» وهي كلمة يعرف معناها الجميع وتعني «إهجموا يا ناس»

وهذه هي أجمل دقائق في هذه المناسبة فهي دقائق مغرية حتى لمن يأتي بقصد المشاهدة والاستمتاع لأنه قد ينسى نفسه ساعة الاندفاع ويجد نفسه بين القوم يجمع السمك في ثيابه إن لم يكن مستعداً بكيس خاص كأولئك الذين أتوا إليه عن قصد.

والأكياس التي يجمع فيها الحريد تركب في أفواهها إطارات مصنوعة من عيدان الشجر تشبه عجلات الدراجة العادية ليسهل بواسطتها جمع أكبر كمية من السمك.

بعد الانتهاء من كل هذه الأشياء يبدأ الناس في الخروج إلى الشاطىء ويقوم معظمهم بحصر الكمية التي حصل عليها، وكم تكون فرحة الشخص كبيرة عندما يكون عدد سمكه كثيراً لأن معنى ذلك أنه سيستطيع الإهداء إلى أكبر مجموعة من أصدقائه ومعارفه.

والهدية من الحريد في يومه الأول تعتبر ذات قيمة كبيرة وبرهان على عمق العلاقة الطيبة بين المُهدي والمُهْدَى إليه.

۞ الحريد والعرايس

من المظاهر المألوفة في هذا الموسم إقامة الاحتفالات الشعبية في بيوت العرائس من النساء اللاتي تم زواجهن في نفس العام ـ أي أن يكون هذا الموسم هو الأول في عمر الزواج ـ وتتخذ هذه الأفراح طابعاً خاصاً حيث تجتمع النساء في بيت العروس عصر كل يوم ابتداء من اليوم العاشر في الشهر الذي يصادف فيه خروج الحريد. وبهذه المناسبة يقوم الشعراء الشعبيون أيضاً بنظم شعر يتغنى به النساء في بيوت العرائس. تتميز كلمات هذه المناسبة بسهولتها أداء ولحناً مما يسهل حفظها والتغني بها:

بو احمد يقول ذي السنة وقته عجْل ... حَنُّ الكف يا مهرْكَلْ[1]

الوجه مثل القمر وسْط المحفل ... زان الطرف لا تكحل

ليْوق[2] واللي يجي قباله[3] يخجل ... على الهون يا محجَّل

وشاعر آخر يقول:

قال المغنى الحريد وقته جاني[4] ... يا زين هات لي المعاني

---

(١) مهركل: رائع الأرداف

(٢) لويق: من اللياقة

(٣) قباله: أمامه

(٤) جاني: أتى إليّ

حسَبْتْ لُه ذا الشَّهَرْ وقالوا الثاني

وَحْي[1] الغيد قد شجاني

بالله عليك يا حريد لا تنساني

يكفيني الذي أعاني

وعلى هذا المنوال الرقيق والشاعرية المرهفة ينظم العديد من الشعراء أشجانهم وآهاتهم، وتستمر هذه المظاهر حتى آخر يوم من أيام الحريد، والعروس طوال هذه الأيام متزينة ومميزة بملابس تميزها عن غيرها من النساء، ولأن هذه المناسبة تتوافق - في العادة - مع موسم طلع النخل فقد كان الأقدمون يأخذون عراجين البلح الذي لم ينضج بعد ويضيفونه إلى الزينة الموضوعة على رأس العروس.

---

(١) وحي : صوت

الحركة والرقص

لا أدري إن كان القارىء يشاطرني الرأي أم لا في أن سكان السواحل تغلب عليهم دائماً رقة المشاعر ولين الطباع، وإذا كان القارىء يشاطرني ذلك فلعله أيضاً يقبل تعليلي بأن هذا يعود إلى البيئة الطبيعية المرتبطة بالبحر وجماله، بل ولعله عائد أيضاً إلى الصلات الوثيقة والعلاقات المتينة التي تنشأ عن ارتباط سكان السواحل ببعضهم خاصة عندما تدفعهم هذه السواحل إلى أعماقها في أسفار جماعية على ظهور السفن بحثاً عن مصادر الرزق ولقمة العيش طلباً للتجارة أو جرياً وراء اللؤلؤ وحاصلات البحر الأخرى.

هذه الأسفار وما يصاحبها من مشقات وحرمان وبعد عن الأهل والوطن كان لها الأثر الكبير في أن تكون هذه الجزر غنية بتراثها، وفنونها الشعبية، وبالعديد من الرقصات والألحان بعضها من النوع السائد في منطقة جيزان ومنطقة عسير كرقصات «الزيفه» و«العرضه» و«السيفي» و«الدّلْع» وبعضها فن مستقل وخاص بالفرسانيين فقط، ولن أتعرض هنا للألعاب المشتركة التي أشبعت بحثاً وكتابة من قبل أدباء ومؤلفي منطقة جيزان ومن بينهم صاحب المخلاف السليماني والأدب الشعبي في الجنوب ولكنني سأعرض بعض النماذج المستقلة للفنون الفرسانية البحتة مثل لعبة «الدانة» و«الغناء المجالسي» وغيرهما.

وهي لعبة جماعية تتميز بإيقاعها العنيف وسهولة أدائها لحناً ورقصاً، وألحانها قد تصل إلى ثمانية أنواع والأغنية الواحدة تتكون من مقطعين كل مقطع ثلاثة أبيات يغني الشاعر المقطع الأول لكي يحفظه المشتركون في الرقصة ويرددونه أثناء أدائها، أما المقطع الثاني فيردده الشاعر فقط بعد سكوت اللاعبين :

يقـول أبـوأحـمـد عقيـلى مربي الـزين ماشي
على تمهـلْ ينـقـلْ قادَمـةْ[1] بالـبـنـانـه[2]
خَلقـةْ تعظـم ولـه قامـه كما غصـن ناشـي
يالـيـت والـيـه يخليـه يوم عنـدي أمـانـه
أوصـاف وجهـه كَدُورَةْ[3] من خيـار القـماشي[4]
والا كما شهـر[5] في المنصف مقـدم وهـانـه[6]
عينّ[7] لحكـمـه طاع له كل عاصـي
وكـم يا قلب قاسـي ليّـنـهْ[8] كالـلبـانـه

«١» قادمه : أي قدمه ومدت لضرورة اللحن
«٢» البنانة : الأصبع وهي مأخوذة من البنان وأنثها الشاعر لتستوي القافية
«٣» الدورة : اللؤلؤة الثمينة
«٤» القماش : اللؤلؤ
«٥» شهر : القمر في المنتصف
«٦» وهانه : ضياءه
«٧» عينّ : انظر
«٨» ليّنه : جعله ليّنا

وأنــا صدفني[1] المليــح ناشــر[2] مع العصر ماسي
بو جعـد[3] كاسي [4] ولـه خُفَّه[5] رديمه[6] ملانه
إن قلت له اخطـر سنـانا[7] قال أنا أتبع خلاصي
أمشي على كيف واسي ما أتبــع أهــل الخيـانـه

وهذه مقطوعة تختلف وزناً وقافية للشاعر: عبدالله محمد عبدالله علي.

قال أخـــو أحمــد سقــى الله يوم ماكــنـا
نجـــا في المـودة والـــذي فيـهــا
ولا نفــتــكــر في الــلي يهاجــرنــا في الـدنـيــا من أولهــا وتــالـيـهــا
الـــلي صبّـحــوا بالمــر يسـقُـنّـا والـكــاســات بأيـديـنـا نمـليـهـا
ألا يا مليــح يا حالي[8] الـوجْـنـا[9]
بالـلي عكْـرتَـك[10] ليـلي[11] تعضّـيـهـا[12]
اشـفـق بالـذي في هِويْـتَـك مضـنـى كم يا اهـوال من أجـلكْ يقـاسـيـهـا
يا راعــي جبين كالـبـدر لا دنّـا[13]
ليـلة نص[14] والـلـنـجـام[15] غاشـيـهـا[16]

---

(١) صدفني : صادفني
(٢) ناشر : خارج وقت العصر
(٣) الجَعْد : الشعر مدلى من الخلف
(٤) كاسي : يغطي أردافه كالكساء
(٥) الخُفَّه : الشعر من ناحية مفرقه
(٦) رديمه : مردومة بالطيب
(٧) سنانا : إلينا
(٨) يا حالي : يا حلو
(٩) الوجنا : الوجنات
(١٠) عكرتك : شعرك الملفوف
(١١) ليلي : كل ليله
(١٢) تعضيها : تصففها
(١٣) دنّا : صار في منتصف السماء
(١٤) ليلة نص : منتصف الشهر
(١٥) اللنجام : النجوم
(١٦) غاشيها : قاهرها بضوئه

وفي لحن آخر يتغنى الشاعر عبدالله عمر مفتاح :

بوعـمـر قال عتْـب[1] الـصـفـر[2] جاني
والمـغـيـبـة[3] تخرج كل بحـره[4]

كل من[5] قال فارقـت المـكـاني	وأربـعـة أحـوال تحـسـبـهـا بسفـره
كنـت لا غبـت ما تمضـى ثمانِ	والمـخـبرّ يقـول في راس عبره[6]
وإن عزمـت الـسـفـر أخّـرْت عاني[7]	كل يومـي تقـول الـعـزْم بكـره
ومـا الـذي قنـعـك عن الـخـواني	لاقـديهـم[8] على حنّـا وعـكـره
تِبْـتْ والا تغـير بك زمـانِ	فرّج الـعـين واتهـنـى بنظـره
قلت محبـوب قلبـي قد جفـاني	قاطـع الـوصف في برهـه[9] ونشـره[10]
علمـوه الجـفـا حتـى احـزنـوني	وانـا مالي عليـه يانـاس قدره
وإن تعـديـت[11] كانّـه ما يراني	هرجـتـه غصب يخرجهـا بحَـمْـرَه[12]
دامتْ الـصـفـر في الهِـوْيَـة اغبنـوني	كان[13] يا قلب ترِّك كل صفـرا

ويتغنى الشاعر محمد عمر مفتاح في لحن يختلف عن سابقيه :

يقـول خوعـلي تركّت من طرقـة الهـوى	محافـظ فروضـي الخـمـسـة الـلي عَلَيّـه
وفـاهـم شروط الـسـتـة الـلي تقـع سوا	كتَبْـهـا على الإنـسـان عنـده وصيـة
وشـاتـرْك الــلي سيرتـه تجلب الغَـوَى	ومـن تاب مأواهُ الجنّـة رضيـة

(١) عتب : عتاب
(٢) الصُفْر : ذوات اللون القمحي
(٣) المغيبة : الغياب
(٤) كل بحره : كل كلمة جارحة
(٥) كل من قال : كل واحد قال
(٦) راس عبره : اسم ساحل في فرسان
(٧) عاني : عن قصد
(٨) لاقديهم : إذا صاروا
(٩) برهة : تبكير في الصباح
(١٠) نَشْرهْ : التمشي عصراً
(١١) إن تعديت : إذا مررت به
(١٢) بحمْرَه : بغضب
(١٣) كان : كفى يا قلب

فيرد عليه أخوه عبدالله ليكمل له المقطع الثاني من الأغنية:

تشوقني الدانة إذا صرعها[١] استوى   وتاجي على روقة[٢] وروحي خليّه
ولا قد سمعت الدور في مطلعه التوى   يهيج لي أكواني[٣] الذي داخليه
وياخوعلي البيض هرجساتهم دوا   ومن حبهم لمّوا[٤] عليه بالحجيه

وهذا الشاعر عمر عيسى حسن يشرح حاله مع محبوبه:

بواحمد يقول يا حالي الوضعه   يا نسل الجميلْ يا فرع من وافي
يا ذهب العرب لكْ عِزْ ولك رفعه   تقديركمْ عندي ظاهرْ وشي خافي
أهلك خلّفوا لي في الحشا وَجْعَه[٥]   يمضي الشهر ما يوم متعافي

هذه نماذج بسيطة من أغاني رقصة الدانة التي تنفرد بها فرسان

---

(١) صرعها : غناؤها
(٢) روقه : راحة بال
(٣) اكواني : جروحي
(٤) لُموا عليه : غطوه
(٥) وجْعه : ألم

المجالسي

هذا النوع من الغناء الفرساني اسمه يدل عليه فهو خاص بالمجالس لأنه يقتصر على الغناء فقط وليس فيه رقص لأن ألحانه لم تكن خفيفة كألحان الدانة وفيه يقول الشاعر عمر عيسى حسن :

بو احمد يقول كم ذا الجفا كم ذا التجنب والمقافا[1] ؟
كانّ المعزّة والصفا راحت معا عاضي[2] دلاله
يحق لابكيته خَفَا[3] أبكي بدمعه ما تكاق[4]
لازم على عهد الوفا حتى ارتحل عني جماله
مكنون ولعه في الحشا كالنار ملوعه تواشي[5]
والي بقلبي ما انتسى الله المجير من فعاله

* * *

وعاد فيه كل العسى[6] ما راح عن بالي التّعسّى[7]
شاهب لروحي ما تشا قادر على ما اشا أناله

* * *

---

(١) المقافا : الهجران
(٢) عاضي دلاله : مطيب شعره المحبوك المرسل على أردافه
(٣) خفا : سر
(٤) ما تكاق : لا تكف عن السيلان
(٥) تواشي : تلتهب
(٦) العسى : الأمل
(٧) التّعسّى : الأمل

لاهــل الجــمــيــل عنــدي كفــا   للي يُوالِـفْـنِي وينــســى
كم ما تغــبَّــى واخــتــفــى   يبــقــى على يدَّى زوالــه
وان طاعــني حالي الــشــفــا[1]   ياجــي انــتــســامــح وانــتــعــافى
والــلى مضــى بيــنُـا كفــى   ما عادني اقــول فيــه مقــالــه

* * *

وان يوم خلي هفــا   أبــات كالــعــود الموشَّــى[2]
في كل صبــحــي والمــســا   باب الجــمــيــل ما اغــلق قفــالــه

---

(١) الشفا : الشفاء

(٢) الموشَّى : الملتهب

التدريه[1]

يقال عادة في فرسان: فلانة تُدَرِّهْ بابنها، والواقع أنه فيما بين يديَّ من مراجع لغوية لم أجد لهذه الكلمة معنى يتناسب مع ما تعنيه هنا، فهذه الكلمة تعني لدى الفرسانيين نوعاً من ألحان الشوق والحنين إلى الغائبين، وخاصة أولئك الذين طال بهم السفر في البحر بحثاً عن اللؤلؤ. وهذا التدريه تتغنى به المرأة في نغم شجي عند القيلولة وعندما يهزها الشوق والحنين لأبيها أو أخيها أو ابنها أو زوجها الذي طال به السفر وغالباً ما تنهمر دموعها وهي تشدو وقت الظهيرة بمثل هذه الكلمات خاصة إذا حانت أيام الشدّةِ وتحميل الجمال إلى المصايف وبدء جَنْي الرطب من النخيل وحبيب القلب غير موجود. عندئذ ستتردد هذه الألحان الشجية من كل بيت له في البحر غائب:

والي بيَسادُوه[2]   والي بسيدي
حان الوقت[3] حان   تحميل وشدّان
والبادرة[4] زان   والي بيادوه
درهت ظُهري[5]   من ضيق صدري
من غيبة أهلي   والي بيادوه
فينْ بَكْ اليوم   في الحر والحُوم[6]
في ظلة الدوم   والي بيادوه
درهت ما اقول   بصافي السلول

---

(١) كلمة محلية تعني أغاني الشوق والحنين إلى الغائبين

(٢) بيادوه: لم أجد لها معنى ولعلها استهلال متفق عليه

(٣) الوقت: بقلقلة القاف

(٤) البادره: أول رطب ينضج

(٥) ظهرى: وقت الظهر

(٦) الحوم: التعب الشديد

بسيف مسلول والي بيادوه
واعني ركايه[1] من هُوْ معايه؟
يحمي حمايه والي بيادوه
ربان بلا ذوق ما يدخله شوق[2]
من أجل ابوطوق والي بيادوه
قلبي مسمسم[3] يا من شلاه[4] دم
يا رب ترحم والي بيادوه

وكما تتغنى المرأة في بيتها تحت وطأة الشوق ولظى الحنين تجد الرجل لا يقل لوعة ورغبة في العودة من هذا البحر الذي تتقاذفه أمواجه وليس أمامه إلا أن يتغلب على هذه القسوة ويصارع الأمواج بمجدافه في قاربه الصغير مردداً قول الشاعر:

والمغني يقول ما ادري بذا ويش يُقلّي[5]
أبو الجعيد[6] المدلّي سابله فوق عكسانه[7]
باهِيَ الخد يوم اذكر فعاله تسلّى
وجْهٌ له شهر متجلي مقدّمْ وهانه[8]
روّحوا بي خُتُبْ[9] لا هبّ فوج المجلّيْ[10]
وارحموا اللي من أول تاه أول زمانه

(١) ركايه : الذي استند عليه
(٢) تعبير عن الغضب على رئيس السفينة الذي لا يريد العودة
(٣) مسمسم : مسموم
(٤) شلاه : شرطه بالموسى
(٥) يقلي : يقول لي
(٦) الجعيد : الشعر المدلى
(٧) عكانه : خاصرته
(٨) وهانه : ضياؤه
(٩) ختب : قرية سبق تعريفها
(١٠) فوج المجلي : ريح الشمال

نا(١) عليّه سَنَد(٢) للخلِ غلقت حلّ
والذي قد كفل ما اخسّره في ضمانه

وكلما شده الحنين وقست عليه الغربة ردد:

أبو الكفوف المجنّى ما السلي فرّق بيننا؟
الناس شاتمتحنّا بالكلام في القفا
وابو احمد على راس المجنّى(٣) وشربته في الونا(٤)
غريتني واحسبْك شاتهرج معي بالصفا

ثم هو يظل منشداً كلما أرهقه المجداف

قال ابو احمد أنا شفست قافله — محبوبي مع العيشْ لوّلي
ويوم قالوا حمامه مسافره — قد بطّلت لا ابتاع ولا اشتري

والشاعر أحمد بن سعيد أبوهبيرة وهو من شعراء البدو في فرسان عمره يزيد على الثمانين عاماً يحكي قصته الآتية. يقول الشاعر أبوهبيرة: كنت في يوم من الأيام جالساً أتأمل فيما صرت إليه من كبر في السن وعلة في الجسم وإذا بفاتنتين قد أتتا تحتكمان إليّ وتريدان أن أحكم بينهما أيهما الأجمل، وكان ذلك من منطلق أنني أصبحت في سن لا تسمح لي بالتحيز لأي منهما، وعندما امتنعت أصرتا علي، وأقسمتا بأن أحكم بينهما فكانت هذه القصيدة:

---

(١) نا : أنا
(٢) سند : وثيقة
(٣) المجنّى : لعله اسم مكان
(٤) الونا : الإناء

يا هاجسي رد ليَّ القول في هذا وهذاك
هذاك نجم السعد والنور مزهي به لهذا
احترت ما بينهم ساعة يقول القلب هذاك
ويوم افتكر في المعاني يا عرب آقول هذا
الفضه الناقيه اللي زهاها النقش هذاك
والمشخص اللي مغطّس بالذهب آشوف هذا
أقدام ترفسات[1] مثل القطن وسَمْح الوجه هذاك
العنْق عنق الظبا وعيون مرموشة لهذا
الأنف مثل القلم وسنون مثل اللول هذاك
وبعيشران[2] الشفا والشِّيح والريحان هذا
والفل والكاديه والعطر أبو «هَنْدَهْ» لهذاك
يزهي نهار المحاضر بالملبوس آشوف هذا

جوني تداعسون[3] ما بيناتهم هذا وهذاك
قالوا لي احكم ولا تطمع بذاك ولا بهذا
وقلت هاتوا وصفكم والكفيل قالوا رضيناك
قَفُّوا وأنا اقْفَيتْ والْعيان توصف لي بهذا
القلب عيَّا يطيع يقول كل الزود هذاك
احترت ما بينهم وإخاف من شرهات هذا
والروح ما أرضى بها المشروه مع هذا وهذاك
هذاك نجم السعد والنور فض الصبح هذا
وبارسل جوابي لابن عسَّاف[4] في بر العَجم ذاك
ويفيدني بعد انا محتار في هذا وهذا

---

(١) ترفات : مترفه
(٢) نبات عطري تشتهر به جيزان
(٣) يتداعون أو يتحاكمون
(٤) شاعر معروف في البر الأفريقي على الساحل الغربي للبحر الأحمر

واختـتـم كلامـي بذكـر الله ياقـي[1] ذا وهـذاك
ومحـمـد المـصطـفـى المـعـصـوم يا هذا وهـذا

ويقول أبوهبيرة أن الشاعر ابن عساف قد حكم ورجح كفة «هذا» على «هذاك» من واقع ثلاثة أبيات هي :

الـفـضـة الـنـاقـيـة الـلي زهـاهـا الـنـقش هذاك
المـشـخص الـلي مغطس بالـذهـب آشـوف هذا

وطبعاً الذهب أثمن من الفضة. أما الثاني فهو:

والـفـل والـكـاديـه والـعطـر أبـوهـنـده لهذاك
يزهـى نهار المـحـاضـر بالـلبـوس آشـوف هذا

ومـا دام «هـذا» هو الـزاهـي في المـجـلس فهـو الأجـمل، والـبـيـت الأخـر:

والـروح ما ارضـى بها المـشـروه مع هذا وهـذاك
هذاك تجـم الـسـعـد والـنـور فض الـصبـح هذا

وليس هناك أي تناسب بين النجم ونور الصبح فإذن «هذا» هو الأفضل.

---

(١) يقي

فرسان في حكم الأدارسة

كان من المفروض أن يكون هذا الفصل ضمن الفصل السابق «فرسان في التاريخ» لكن التسلسل الزمني لهذه الفترة القريبة العهد جعلني أضعها بعد الكتابة عن التراث والعادات، وليعذرني القارىء إن كانت وجهة نظري هذه غير صائبة.

لقد جاء في الجزء الثاني من كتاب «شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز» لمؤلفه «خيرالدين الزركلي» صفحة ٥٣٥ الطبعة الثانية ما يلي:

«اضطرب ملك الأدارسة بعد وفاة محمد بن علي، وقد خلفه أحد أبنائه «علي بن محمد» وكان ضعيفاً، فعاجله الإمام يحيى فانتزع منه الحديدة وتوغل في الساحل شمالاً حتى وصل إلى «ميدي» وأراد «الحسن» أن يقلد أخاه محمداً ـ كما يقول فؤاد حمزه في قلب جزيرة العرب ـ ففاوض الايطاليين «جيرانه في الشاطىء الغربي من البحر الأحمر» في «مصوّع». وفاوض البريطانيين في «عدن» ومنح إحدى شركاتهم امتيازاً باستخراج النفط من جزائر فرسان بشروط مجحفة بالبلاد والأهالي» انتهى.

ويأتي الأستاذ العقيلي في الجزء الثاني من المخلاف السليماني صفحة ٢٩٠ تحت عنوان «جزيرة زفاف» ليقول:

في عام ١٣٤٥هـ عاد «مصطفى الإدريسي» من مصر إلى صبيا لزيارة الإمام الجديد ـ وهذه العودة الأولى بعد مغادرته البلاد عقب ثورته على الإمام علي ـ وكان يحمل معه صورة عقد اتفاقية باستغلال بنزين بجزيرة زفاف مقابل شروط وهمية لا تحقق ربحاً من مكاسب الأرباح» انتهى.

ثم يأتي «محمد جلال كشك» في كتابه «السعوديون والحل الإسلامي» ليعطينا صورة أكثر وضوحاً حيث يقول: «وبانتهاء الحرب رأى الادريسي نفسه بين الملك حسين نجم الاستراتيجية العربية وبطل الثورة إذ ذاك والذي استأثر بمجد العرب ضد الأتراك وبين إمام اليمن الذي تخلص من الخطر التركي وبدأ يتطلع لالتهام الإدريسي. في نفس الوقت كانت إيطاليا مع شديد رغبتها في اقتطاع «عسير» تفضل كسب إمام اليمن. فلم يجد الادريسي حوله إلا ابن سعود الذي وضع أولاده تحت وصايته سنة ١٣٣٨هـ - ١٩٢٠م. ولكن بعد عام عندما جرى تطويق ابن سعود بالأشراف وأنذره الإنجليز وبدا أن موقف الملك حسين هو الأقوى وتمرد آل عائض في أبها ضد الوجود السعودي الذي دخل الإقليم بناء على طلب الأهالي تشجع الإدريسي فطلب من ابن سعود تسليمه إمارة «آل عائض» باعتبارها جزءاً من إمارة عسير الكبرى.. لكن ابن سعود رد عليه الرد اللائق قائلاً: «حنا ما ناخذ الصاحب على أول زله».

فاستقام إلى أن مات سنة (١٣٤١هـ - ١٩٢٣م) وخلفه ابنه علي فانتهز إمام صنعاء اضطراب الوضع في الإمارة وانشغال العملاقين ابن سعود والملك حسين بصراعهما فاستولى على الحديدة وميدي. ثم خلع علي الإدريسي وتولى الإمارة عمه الحسن الذي جرب أكثر من لعبة كان من بينها إعطاؤه الإنجليز امتيازاً للنفط في جزيرة فرسان. وقد تحول هذا الامتياز إلى معاهدة سنة ١٩١٧م بين بريطانيا والإدريسي حيث تعهد فيها الأخير بألا يرهن أو يبيع أو يتنازل عن جزر فرسان أو أي موقع على سواحله لطرف أجنبي، وحقه في أن يطلب المساعدة من بريطانيا إذا تعرضت هذه المناطق للخطر وتعهدت الحكومة البريطانية بحماية جزر فرسان وساحل الإدريسي بشكل خاص. وعندما دعت الضرورة إلى تنفيذ هذه المعاهدة وطلب الإدريسي من بريطانيا حمايته من الإمام نكثت بريطانيا بوعدها وردت وزارة الخارجية البريطانية قائلة: «إن ارتباطنا ملزم في حالة وقوع عدوان أوروبي فقط[1]

ومن الوثائق التي أشار إليها كتاب «السعوديون والحل الإسلامي» أنه:

في ١١ أغسطس ١٩٢٧م أبلغ القنصل البريطاني في جدة حكومته الآتي: «استدعاني وزير الخارجية السعودي وسلمني رسالة من ابن سعود يبلغ فيها حكومة صاحب الجلالة

---

(١) السعوديون والحل الإسلامي

بتزايد النفوذ الإيطالي لدى الإمام وأن إيطاليا تشحن كميات كبيرة من السلاح والذخيرة إليه. وأن رسالته قد عرضها هذا على الإيطاليين الذين يسعون لمنع التفاهم السلمي بين الحجاز واليمن. وقد سأل الملك إذا كانت حكومة صاحب الجلالة لها علم بهذا النشاط الإيطالي.. وإذا كانت تعلم فما هو موقفها؟..

وفي نفس الأسبوع تلقى القنصل البريطاني في (١٦ ـ ٨ ـ ١٩٢٧م) (١٨ صفر ١٣٤٦هـ) رسالة من جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز حول امتياز جزيرة فرسان جاء فيها:

«لي الشرف أن أبلغ سعادتكم أن ممثلنا لدى حكومة الإدريسي تسلم رسالة من السيد حسن الإدريسي حول موضوع امتياز شركة النفط في جزيرة فرسان. وقد طُلب منه رفع موضوع الامتياز إلينا لنرى ما هي الخطوات التي يجب اتخاذها لتجنب أي معارضة.

وانطلاقاً من حرصنا الشديد على حقوق الشركة وحقوق بلاد الإدريسي فقد درسنا الموضوع برمته دراسة دقيقة فخلصنا للنتائج التالية التي نرغب في وضعها أمام بريطانيا العظمى كتعبير عن رغبتنا في التعاون لحل هذا الخلاف بروح الود والصداقة القائمة بيننا.

«إن ممثلي الشركة عند توقيع الاتفاق وعدوا السيد حسن بإنجازات مبدئية تبين الآن عجز ممثلي الشركة عن تنفيذها. الأمر الذي يعتبره الأهالي ضاراً بهم وببلادهم. ولمعرفتهم بالأهداف الشريرة لمصطفى الإدريسي ضدهم وضد الشركة فقد طالبوا الشركة عبثاً بتنفيذ التزاماتها مما خلق شعوراً سيئاً ضد الشركة.

وهناك قوى أخرى تشجع الأهالي على إثارة الاضطرابات فلما أصبح الوضع خطيراً طلب السيد حسن الإدريسي تدخلنا نظراً لعلاقات الصداقة التي تربطنا ببريطانيا العظمى».

وقد رأينا أن الحل الأمثل هو الدخول في مفاوضات معكم ثم نرسل مندوباً عنا إلى

جيزان لنجد بالاتفاق مع ممثل الحكومة البريطانية وممثل شركة النفط والسيد حسن حلاً مقبولاً من كل الأطراف. وكما تعلمون نحن نفضل أن يكون الامتياز للشركات البريطانية عن أي جانب آخر إذا ما تساوت الشروط. ولا شك لدينا أنه بهذه الوسيلة التي نقترحها سنكون قادرين على محو الشكوك من نفس الإدريسي نحو الشركة والوصول إلى شروط مقبولة للجميع. رجاء رفع ذلك لحكومتك». .

توقيع : عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود

إن جزيرة زفاف مهجورة اليوم تماماً ولا يوجد بها سوى أسراب الغزلان التي ترتع بالقرب من الشواطىء آمنة مطمئنة لعلها باقية ولعل عوامل الجفاف في السنوات الأخيرة لم تكن قد قضت عليها.

ملاحظات على دراسة عن جزائر فرسان
للدكتور: عبدالرحمن صادق الشريف

شيء جميل أن يحظى هذا الجزء النائي ـ من بلادنا العزيزة ـ بدراسات المهتمين من أصحاب الدرجات العلمية العالية كالدكتور عبدالرحمن صادق الشريف الأستاذ المشارك بقسم الجغرافيا «كلية الآداب» بجامعة الرياض أو جامعة الملك سعود كما أطلق عليها مؤخراً تحت عنوان «دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية «جزائر فرسان» وما نريده من هذه الدراسات ومن أصحابها أن تكون على درجة كبيرة من البحث والتقصي وصدق المعلومات لأن أي باحث أو دارس يحمل على عاتقه مسؤولية شرف الأمانة العلمية شاء أم لم يشأ. إن كثافة هذه المسئولية تكون أكبر عندما يحملها إنسان كالدكتور الشريف وينشرها في وسط علمي خصب كالوسط الجامعي ليأخذها عنه أبناؤنا الجامعيون الذين هم عماد هذه الأمة وطاقاتها المنتظرة التي سنبني عليها مستقبلها.

لقد بلغ عدد صفحات هذه الدراسة مع قائمة مراجعها نحو ٢٢ صفحة بدأ خطأ معلوماتها من الصفحة الأولى حيث جاء فيها ما نصه: «تتكون فرسان من مجموعة من الجزر تقع أمام شاطىء منطقة جازان. والقليل منها مأهول. بلغ مجموع سكانها ٣٣٥٢ نسمة في سنة ١٩٧٤م. يعيش ٤٠٪ منهم في مدينة فرسان الواقعة في واد يخترق أكبر جزرها». ثم جاء خطأ هذه المعلومات بصورة أوضح في الصفحة السابعة حيث جاء في السطر الثالث وما بعده: تقع بلدة فرسان على جانب وادي مطر الذي يخترق الجزيرة، والذي تنتشر به الحقول الزراعية. ولذلك فالبلدة تبعد كيلومترات عن شاطىء البحر.

وأنا هنا أود أن أسأل الدكتور من أين جاء بهذه المعلومات؟ كيف استطاع بجرة قلم ـ كما يقولون ـ أن ينقل فرسان من موقعها المعروف إلى وادي مطر الذي يبعد عنها حوالي تسعة أو عشرة كيلومترات والذي يخلو من الوجود السكاني تماماً. كما أنه ليس بالوادي المتعارف عليه جغرافياً أي أنه ليس مجرى تعبره السيول بل هو العكس من ذلك لأنه مساحة من الأرض

الخصبة تتجمع فيها مياه الأمطار وتنبت به أشجار «السَّلم» الكثيفة وقد أطلق عليه اسم الوادي من كونه منطقة ترعى فيها الأغنام وتتكاثر فيها قطعان الغزلان، وتعود أهمية هذا الوادي الآن إلى وجود بعض الآثار القديمة والكتابات الموجودة على بعض حجارته من أيام دولة حِمْيَر كما يقول خبراء الآثار.

ثم يستطرد الدكتور في دراسته عن هذه الجزر وسكانها إذ جاء في الصفحة الأولى نفسها في الفقرة الثانية من مقدمته: «لذلك تخلفت هذه الجزر فلم ينظم طريق بحري يربطها بجازان ولم تنشأ بها طرق معبدة، وارتفعت نسبة الأمية بين السكان إلى ٨٦٪ وانخفضت نسبة الحضور المدرسي ٢٦٪ ثم يواصل الدكتور حديثه عن هذا الموضوع صفحة «١٥» فيقول: أما عن التعليم في فرسان فإن نسبة الأمية تصل إلى ٨٦٪ وبلغت نسبة الحضور المدرسي ٢٦٪ فقط لمن هم في سن (بين ٦ - ٩) سنوات سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م. والدكتور يعتمد في هذه المعلومات على «مصلحة الإحصاءات العامة» التعداد العام لسكان المملكة لعام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م «البيانات التفصيلية. منطقة جازان»

أنا أشك في صحة هذه المعلومات سواء كانت ناتجة عن مجهودات الدكتور الشريف أو في صياغة الإحصاءات العامة التي اعتمد عليها في بحثه. لأن فرسان مشهورة بتدني نسبة الأمية فيها سواء بين الرجال أو بين النساء. لماذا؟ طبعاً لأن أسفارهم إلى البلاد المجاورة وتجارتهم باللؤلؤ ومستخرجات البحر الأخرى ألزمتهم بأن يتعلموا ولو تعليماً يفك أميتهم على أقل تقدير. فكيف إذا عرفنا أن كثيراً من أبناء الجيل السابق - أقصد جيل ما قبل المدارس - كانوا يقرأون ويكتبون بشكل جيد ودليلي على ذلك ممارستهم للأعمال الحكومية الكتابية وتسلمهم إدارة كثير من الدوائر التي أستطيع أن أقول أنها مكتملة في فرسان ومنذ بداية العهد السعودي من إمارة وشرطة ومحكمة وهيئة أمر بالمعروف ومالية وجمرك ولاسلكي وجوازات وأحوال مدنية كما يطلق عليها الآن ومرفأ وسلاح للحدود وغير ذلك. كما أن كثيراً منهم شغلوا وظائف ومراكز لا بأس بها في كل من جيزان وجدة وغيرها من مدن المملكة وكل هؤلاء كانوا من الجيل السابق الذين تلقوا تعليمهم في الكتّاب أو المساجد التي كانت تقوم بدورها في التعليم. ثم إن مدرسة فرسان الابتدائية من أوائل المدارس في المملكة حيث يعود افتتاحها إلى عام ١٣٦٨هـ عندما كان المرحوم محمد بن عبدالعزيز بن مانع مديراً للمعارف.

أمـا بالنسبـة للحضـور المدرسي ٢٦٪ لمن هم في سن (بين ٦ ـ ٩ سنوات) التي حددها الدكتور فالسؤال هنا: ٢٦٪ من ماذا؟ هل هي من المسجلين الفعليين في المدرسة أم هي من العـدد الإجمـالي للسكـان بما في ذلك القرى التي لم يغزوها التعليم المدرسي في ذلك الوقت؟ هل هي من الـرجـال؟ أم هي من النسـاء؟ هذه النسبـة الضئيلة لا أسـاس لها في الـواقـع، وسجلات المدارس تثبت خطأها.

وبـدون أي تحيـز أقـول: إن نسبـة الحضور المدرسي في مدارس جزائر فرسان من أعلى النسب في معظم مدارس المملكة. وبكل ثقة أقول أيضاً: إن التعليم في فرسان بين أبناء هذا الجيل يبلغ ١٠٠٪ إذ لا يوجد أي طفل يبلغ السادسة من عمره إلا وهو مسجل في المدارس. وليس أمام الطلاب في فرسان من مغريات الحياة ما يجعلهم يتغيبون عن مدارسهم. أضف إلى ذلـك ما تبـذلـه الـدولة من مساعدات ومكافآت مالية لهؤلاء الطلاب حيث يحصل كل طالب في الابتـدائيـة على مكافأة شهرية مقدارها مائة وخمسون ريالاً وثلاثمائة ريال للطلاب الـذين هم فوق المرحلة الابتـدائية بالإضافة إلى بدل الاغتراب الذي يحصل عليه الطلاب الـوافـدون من القرى لمواصلة تعليمهم الإعدادي والثانوي. ونتيجة لتوفيق الله أولاً ثم لهذه العـوامـل مجتمعـة فقـد وصـل بعض أبنـاء فرسـان إلى أعلى مراحل التعليم وحصلوا على الـدكتـوراه أو في طريقهم إليهـا كالـدكتـور ضيف الله هادي حسن الـذي يعمل الآن بكلية الزراعة في الرياض وعلي يحيى عريشي ومحمد يحيى صيادي اللذان سيعودان بعد أيام قلائل من الـولايـات المتحـدة الأمريكية يحمل كل منهما درجة الدكتوراه في الحقل الذي يعمل فيه. أما طلاب فرسان في الجامعات فهم كثيرون وفي مختلف التخصصات العلمية والتربوية.

ولا أنكـر أنني قد اكتسبت معلومـات جديـدة من دراسـات الـدكتور وخاصة فيما يتعلق «بطبيعـة تكـوين جزائـر فرسان» إبان العصور الجيولوجية المختلفة، إلا أنني لن أتعرض لهذا المـوضـوع الآن بصفتي إنســان غير متخصص ولكنني أرجـو مستقبـلاً أن أوفق عن طريق الاجتهاد إلى عمل شيء أضيفه إلى هذه المعلومات المتواضعة عن هذه الجزر.

كما أنه من بين المعلومات التي اكتسبتها وأضيفها إلى بحثي هذا ما جاء في صفحة «٥» عندما تحدث عن القلعة. قال الدكتور الشريف:

«وقد هجرت هذه القلعة منذ رحيل الأتراك. وقد طمع الألمان في السيطرة عليها لتكون محطة لتموين السفن بالفحم ولكن بريطانيا وقفت في وجه أطماعهم وحالت دون ذلك. وقد بقي سكان هذه الجزر بعد توحيدها كمنفى للمحكومين».

ما أريد إيضاحه هنا أن الألمان لم يحاولوا الاستيلاء على هذه القلعة ولا يوجد لهم أثر في فرسان. ربما أراد الدكتور «جزيرة قماح» الواقعة على خط الملاحة الدولي عبر البحر الأحمر والممتد من باب المندب في الجنوب إلى قناة السويس في الشمال. وقد أشرت في بحثي هذا إلى أن الألمان قاموا ببناء مستودع كبير على ساحل هذه الجزيرة يطلق عليه العامة من الناس «بيت الجرمل» مازال باقياً حتى هذا التاريخ. وهذا الوجود الألماني في هذه الجزيرة لم يكن من منطلق سيطرتهم عليها ولكنه من منطلق أنها كانت واقعة تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية صديقتهم أو هي حليفتهم في ذلك الوقت. ثم لا أعرف ماذا يقصد الدكتور بقوله: «وقد بقي سكان هذه الجزر بعد توحيدها كمنفى للمحكومين». أنا أتساءل ما معنى هذه العبارة؟ ما معنى بقي سكان هذه الجزر بعد توحيدها؟ ما معنى كلمة «توحيدها»؟ هل كانت هذه الجزر كل واحدة منها تابعة لدولة؟ لماذا لم يوضح ذلك ويبين أسماء الدول التي كانت تسيطر على كل جزيرة أو على كل مجموعة منها؟ هناك من يعيش منذ زمن الأتراك حتى الآن من المعمرين لم يعرفوا أن أي دولة سيطرت على جزرهم أو جزأتها. كل ما في الأمر أن هذه الجزر مجتمعة خضعت لحكم الأدارسة ـ التي كانت عاصمة دولتهم مدينة صبياء ـ بعد خروج الأتراك منها بعد الثورة العربية ضدهم وجلائهم عن العالم العربي. ثم بعد ذلك انضمت هذه الجزر تحت راية الحكم السعودي كجزء لا يتجزأ عن منطقة جازان. ثم ما معنى بقي سكان هذه الجزر بعد توحيدها؟ ما المقصود بكلمة «بقي» هل أراد بها الاستقرار؟ هذا غير وارد تماماً. بل وهذا ما ينافي ما أورده الدكتور نفسه في حديثه عن سكان جزائر فرسان إذ أورد ما ذكره «ابن الحايك» الهمذاني «أن فرسان قبيلة من تغلب كانوا نصارى ولهم كنائس في جزر فرسان وقد خربت، ويوجد بها جبل يسمى «جبل كنيسة» يقال: إنه كان فيه آثار بناء قديم زال منذ عهد قريب. ويقول نساب حمير إنهم من حمير وقد عملوا بالتجارة فكانوا يحملون المتاجر إلى بلاد الحبشة ولهم في السنة السفرة فينضم إليهم كثير من الناس. وقال الكلبي: «إن منهم من ينتسب إلى كنانه ومنهم من ينتسب إلى تغلب».

إذن الـدكتـور يناقض نفسه بنفسه إذا كان يقصد بكلمة «بقي» الاستقرار فهذا التاريخ يشهـد بأنهم قدمـاء قدم تاريـخ الإنسان العربي على هذه الأرض وآثارهم تدل عليهم. ثم مازلت حول هذه العبارة. ماذا يقصد بقوله: بعد توحيدها كمنفى للمحكومين. ماذا يقصد بالتوحيد هنا؟ هل أزيح البحر والفواصل الطبيعية التي تفصل هذه الجزر عن بعضها لتصبح جزر فرسان كلها منفى؟

النفي لم يكن إلا في جزيرة فرسان فقط حيث توجد سلطات الدولة مكتملة وهذه ظاهرة بحمد الله ثم نشكر الدولة على إنهائها. ولم تعد فرسان تلك الجزيرة التي تستقبل المنفيين بل تبدل الحال حيث أصبحت تستقبل كبار المسؤولين من أمراء ووزراء وطلاب جامعات وزوار أجـانب. وأجـد نفسي مجبراً لأتـابـع بعض المـلاحظات حول ما جاء من خطأ في التعبير في مؤخرة الصفحة السابعة من الدراسة وهو الآتي:

بقيت حياة سكان جزائر فرسان متخلفة وأحوالهم سيئة ومستوى معيشتهم منخفضاً في الوقت الذي تعرضت فيه مختلف مناطق المملكة للتطور والازدهار.

الوقوف هنا عند جملة «في الوقت الذي تعرضت فيه مختلف مناطق المملكة للتطور» موسيقى هذه الجملة شاذة ومـزعجـة للسمـع فقـد ألفت الأذن أن تسمـع قولهم: «لا تعـرض نفسك للأخطار» أو «لا تعرض جسمك للبرد» أو «تعرضت المدينة الفلانية لمرض كذا» أو «المناطق المنكـوبـة ـ لا سمـح الله ـ تعـرضـت للسلب والنهب» ومـا إلى ذلـك من عوامل الشر والعياذ بالله. أمـا أن يقـول تعرضت للتطور والازدهار فهذه عبارات يرفضها السـمع وتأباها موسيقى الكلمة. ولو قال: في الوقت الذي شمل فيه التطور والازدهار مناطق المملكة لكان أفضل.

ومن المتناقضات التي وقع فيها الدكتور قوله: «تقع بلدة فرسان على جانب وادي مطر الذي يخترق الجـزيـرة والـذي تنتشر به الحقـول الـزراعيـة. ولذلك فالبلدة تبعد كيلومترات عن شاطىء البحـر. وهـذا يوضـح أن إمكـانية الإنتاج الزراعي هي العامل الرئيسي في استقرار السكان». ثم يأتي في نهاية الصفحة السابعة نفسها وفي رأس الصفحة الثامنة ليقول: «وقد اشتركت عدة عوامل طبيعية بشرية في الحفاظ على هذه الأوضاع البائسة مدة أطول يجدر بنا أن نتـوقف عنـدهـا قليـلاً لإلقـاء مزيـد من الضوء على واقعها حتى يتضح السبيل لإمكانية تطورها في المستقبل ويبدو أن أهم هذه العوامل ما يأتي:

١ ـ طبيعة تكوين هذه الجزر
٢ ـ انعزالها
٣ ـ جدب أراضيها
٤ ـ أسباب بشرية واجتماعية

والتناقض يكمن هنا في الفقرة الثالثة وهو قوله «جدب أراضيها» . أنا لا أريد أن أقول: إن أرض فرسان زراعية وخصبة لأن ذلك يعني المهتمين والمختصين بالزراعة والتربة . لكن أقول: كيف يقول: «تقع بلدة فرسان على جانب وادي مطر الذي يخترق الجزيرة والذي تنتشر به الحقول الزراعية؟ ومع أن موضوع الموقع قد أوضحت خطأه في بداية ملاحظاتي إلا أنني أسأل: كيف يكون جدب في أراضيها؟ وكيف يكون انتشار للحقول الزراعية؟ كيف يقول الدكتور في الصفحة الأولى؟ وبقيت مجالات الإنتاج متخلفة مما اضطر شبابها للهجرة . ويقول أيضاً في نفس الصفحة: لا يمكن وقف هذا النزيف البشري من الهجرة؛ ليعود فيقول: إن إمكانية الإنتاج الزراعي هي العامل الرئيسي في استقرار السكان .

ملاحظات أترك للقارىء الحكم عليها، وأرجو كل الرجاء من باحثينا ودارسينا سواء في الجامعات أو في غيرها ممن يعنون بهذه الأمور أن يتخذوا الأمانة العلمية والتقصي العميق شعاراً لهم وفي نفس الوقت أضم صوتي إلى صوت الدكتور عبدالرحمن صادق الشريف في مقترحاته التي جاءت في مؤخرة دراسته لتنمية هذه الجزر والتي اختصرها كروؤس أقلام فيما يلي:

١ ـ إنشاء طرق معبدة بين فرسان وقراها .
٢ ـ إيجاد قوارب مختلفة وتنظيم حركة الركاب والبضائع . وهذه الفقرة حُلَّ جزء كبير منها بواسطة المعدية «فرسان» التي تكرم باهدائها صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية بعد زيارته لفرسان .
٣ ـ فتح وحدة زراعية في الجزيرة .
٤ ـ تطوير الميناء « وهذا تنفذه الآن المؤسسة العامة للموانىء » بواسطة شركة «كوستين» الإنجليزية .
٥ ـ إنشاء وحدة لتحلية المياه «وهذا قد تم تنفيذه منذ عام ١٣٩٩هـ»
٦ ـ فتح مدارس للذكور والإناث . وهذا قد تم وعم تعليم البنين والبنات كل جزيرة وكل قرية .
٧ ـ بناء مستشفى . وهذا يتم بناؤه الآن من قبل وزارة الصحة بواسطة شركة «فيال» الإيطالية وسيتسع لخمسين سريراً .
٨ ـ تطوير عمليات صيد الأسماك .

٩ - تشجيع الاتجاه نحو التصنيع كالجص والجبس والنوره وتنظيف الأصداف.
١٠ - تشجيع فنادق من مختلف الدرجات والأحجام.
١١ - دراسة إمكانية زرع اللؤلؤ ضمن أحواض خاصة في مياه الجزيرة كما هو حاصل في كثير من بلاد العالم كاليابان.

هذه بعض ملاحظات حول دراسة الدكتور عبدالرحمن صادق الشريف عن «جزائر فرسان» ويبقى شيء آخر أود مناقشته مع الدكتور ومع شهاب الدين أحمد بن ماجد النجدي البحار العربي المشهور الذي نسب إليه الدكتور الشريف أنه قال: إن فرسان كانت تدعى «هندسان» في الصفحة رقم «٢» وفي التعليقات صفحة «١٩» وفي رقم «٣» جاء ما يلي: شهاب الدين أحمد بن ماجد النجدي إذ قال: «بحري فرسان جزيرتان تسميان كدي وهندسان وسامسوة بحري الجزيرتين عنها في المغارب والجنوب ويقول في موضع آخر: «فهندسان شامها وحواليها جزر وفيها البقر والجمال والنخيل والفواكه... كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد تحقيق». انتهى
وهنا سأورد ملاحظتين. أولهما:

الذي يظهر أن الدكتور لم يفهم لغة ابن ماجد. فابن ماجد عندما قال بحري فرسان جزيرتان تسمى كدي وهندسان إنما أراد أن يقول: غربي فرسان تقع جزيرتان وكلمة «بحري» مازالت مستعملة حتى الآن بمعنى «غربي» ومن الأشياء المألوفة في فرسان أو جازان أن تسمع قولهم: «اليوم الهواء بحري» بمعنى أن الرياح غربية لأنها تهب من جهة البحر ثم أن جزيرة كدي موجودة وهي تسمى الآن «أم الكدف» أو «أم الكدي» ثم أن جزيرة «هندسان» أيضاً معروفة وتدعى في الوقت الحاضر «الدّسان» ولعل تحريفاً وقع في اللفظ منذ زمن ابن ماجد حتى الآن أو لعل ابن ماجد أو كاتبه سمعاها خطأ فدوناها بهذا اللفظ. أما جزيرة «سامسوة» التي قال عنها ابن ماجد: إنها بحري الجزيرتين عنها في المغارب والجنوب. فقد فسرت العبارة نفسها بنفسها «فبحري الجزيرتين» معناها تقع عنهما من ناحية البحر أي من ناحية الغرب. إلا أن هذه الجزيرة لم يكن اسمها «سامومة» واسمها الصحيح «سَاسُوهْ» بضم السين الثانية وسكون الهاء. وهذا لا أشك في أنه خطأ مطبعي أو خطأ في النقل عن ابن ماجد. ثم لا أعرف كيف مرت على الدكتور هذه العبارة دون أن يتلافى الوقوع في الخطأ الذي وقع فيه لأن العبارة واضحة ولا تحتاج إلى تفسير. تقول هذه العبارة: «فهندسان

شامها «أي إلى الشمال منها» وحواليها جزر وفيها البقر والجمال والنخيل والفواكه» . هذه الجزر إذن جزر فرسان الكبرى وفرسان الصغرى «السِّقيد» . هذا واضح لا يستدعي الوقوع ويجعل الدكتور يقول «وكانت تدعى هندسان حسبما ذكر ابن ماجد» وبذلك جعل القارىء يقع في خطأين هما :

١ ـ نسب إلى ابن ماجد ما لم يقله .

٢ ـ منح فرسان اسماً لا تعرف به وإنما الذي تعرف به إحدى الجزر التابعة لها .

أما الملاحظة التالية فهي :

إن الهمذاني صاحب كتاب «صفة جزيرة العرب» توفي سنة ٩٤٥م وياقوت الحموي صاحب معجم البلدان الذي ولد عام ١١٧٩هـ وتوفي عام ١٢٢٩م لم يقل أحد منهما أن فرسان كانت تدعى هندسان وهما أقدم من البحار العربي أحمد بن ماجد الذي رافق «فاسكو دى جاما» في رحلاته البحرية وكان بمثابة مرشد له وفاسكو دى جاما من مواليد ١٤٦٩م وتوفي ١٥٢٤م كما أن ابن ماجد نفسه توفي بعد ١٤٩٨م . ومن هذا يتضح خطأ معلومات الدكتور عبدالرحمن صادق الشريف عن جزائر فرسان . ومع أنني أشكر للدكتور دراساته عن هذه الجزر فإنني أرجو أن تكون مجالاً للبحث ليتسنى لنا معرفة جزء يكاد يكون مجهولاً من وطننا الحبيب .

فرسان حاضرها ومستقبلها

لقد ازدهرت فرسان وما يتبعها من القرى والجزر المسكونة إبان عهدها بتجارة اللؤلؤ ومستخرجات البحر وتجلى ذلك الازدهار في أسلوب حياة بعض أهلها وفي طراز منازلهم التي تأثر مصمموها بما شاهدوه في بلدان الشرق كالهند وبلدان الغرب كإيطاليا ومزجت فيها النقوش الشرقية بالتصاميم الرومانية من حيث الأعمدة والعقود والرتوش الأخرى. لكنه ما أن بدأت تجارة اللؤلؤ بالكساد وبدأت مصادر الرزق تتنوع وتقل مشقة عن الاعتماد على منتجات البحر حتى بدأ أهل هذه الجزر يهجرون الغوص ومتاعبه ويتجهون إلى المصادر الأخرى.

وحالتهم هذه ـ في ظني ـ أشبه ما تكون بحالة سكان سواحل الخليج العربي، فالظروف تكاد تكون متشابهة حيث هجر أبناء الجيل الجديد البحر بل أصبحوا لم يعرفوه لدرجة أن معظمهم لا يجيدون السباحة. وليت أبناء الجيل الجديد وحدهم هجروه بل ومن أسميهم تجاوزاً «أبناء الجيل الأوسط» وهم الذين قضوا جزءاً من حياتهم في البحر، فهؤلاء من منطلق حياتهم الأولى أرادوا أن يريحوا أنفسهم بقية أعمارهم ويجنبوا أبناءهم ما كابدوه في أيامهم السابقة، وهذا شيء لا بد من حدوثه. وقد ترتب على ذلك هجرة الفرسانيين من جزيرتهم سعياً وراء سهولة العيش وتيسر الرزق.

والسؤال الآن: هل يعود الفرساني إلى جزيرته بعد أن نعم برفاهية العيش وبدل أسلوب حياته خلال سنوات غيابه، وبعد أن أنجب أبناءه الذين لا يعرفون عن جزيرتهم شيئاً إلا من خلال أحاديث الذكريات التي يسمعونها من آبائهم أو بعض أفراد أسرهم من المسنين.

هذا السؤال ستجيب عليه الأيام المقبلة خاصة وأن فرسان تقبل الآن على مرحلة جديدة من مراحل تبدل الحياة فيها خاصة بعد الزيارات المتعددة التي قام بها إليها بعض كبار

المسؤولين كصاحب السمو الملكي الأمير عبدالرحمن بن عبدالعزيز وصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية وعدد من الوزراء كوزيرالمالية ووزير التخطيط ووزير المعارف ووزير الزراعة والمياه ووزير الصحة وغيرهم والتي أسفرت عن إيجاد بعض المشاريع الضرورية في هذه الجزيرة كمحطة تحلية المياه التي كلفت الدولة واحداً وأربعين مليوناً من الريالات والتي تنتج ١٣٢٠٠٠ جالون ماء يومياً، وشبكة الكهرباء التي غطت فرسان وبعض قراها القريبة والتي تتوسع الآن لتصبح مشروعاً مركزياً يغطي جميع القرى والجزر المأهولة بالسكان. كما يجرى الآن بناء ميناء حديث على مساحة من الأرض مقدارها ألف كيلومتر مربع تقوم بتنفيذه شركة «كوستين» الإنجليزية، وبناء مستشفى يضم خمسين سريراً تقوم بتنفيذه شركة «فيال» الإيطالية بالإضافة إلى بعض المنشآت الحكومية كمدارس البنات ومقر الإمارة وبناء قيادة قطاع سلاح الحدود.

ومن المشاريع التي تنتظرها فرسان سفلتة تسعين كيلومتراً من الطرق تربط جميع القرى بعضها ببعض وبناء كوبرى «جسر» طوله ٥٦٠ متراً يربط فرسان بالسجيد وإيصال فرسان هاتفياً بمدن المملكة والخارج بواسطة محطة للميكرويف. كذلك تجرى دراسات لبناء محطة للوقود تزود المواطنين بهذه المادة وتجنبهم غلاء أسعارها بسبب تكاليف استيرادها من جيزان.

ومن الأشياء الجديرة بالإشارة أن كلاً من وزارة المعارف والرئاسة العامة لتعليم البنات قد قامتا بتغطية كاملة لجميع جزر وقرى فرسان وافتتحت بها مدارس للبنين والبنات، وفي فرسان نفسها يصل التعليم إلى نهاية المرحلة الثانوية بالنسبة للبنين وإلى نهاية مرحلة إعداد المعلمات بالنسبة للبنات.

كيف فتحت فرسان

عندما زار فرسان صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية كان من بين المطالب التي تقدم بها المواطنون لسموه فتح خط جوي بين جيزان وفرسان ولو رحلة واحدة في الأسبوع، ولكن سموه كان ذا نظر أبعد فقد وعدهم بوسيلة نقل مأمونة ومضمونة وأكثر نفعاً من الطائرة، ولم يطل بالمواطنين انتظارهم حتى وصلت المعدية البحرية التي أطلق عليها اسم «فرسان» فيما بعد وفتحت فرسان على مصراعيها أمام الزوار والشركات والمؤسسات وشكلت جسراً تنقل بواسطته المعدات والسيارات الكبيرة والصغيرة كما استطاع المواطن أن ينتقل بسيارته من فرسان إلى جيزان سواء كانت فارغة أو محملة بالبضائع حتى أنها الآن ـ أي المعدية ـ أصبحت لا تكفي الحركة الآخذة في التوسع وأصبح كثير من أصحاب السيارات لم يتمكنوا من السفر بعد أن تشحن هذه المعدية بأكثر من ثلاثين سيارة يومياً ذهاباً وإياباً ويصل عدد الركاب في بعض الأحيان إلى أكثر من ثلاثمائة راكب، وانطلاقاً من هذا الضغط المستمر فقد أمر سموه بالتعاقد مع إحدى الشركات لبناء معديتين أخريين تنتظرهما فرسان في وقت قريب إن شاء الله.

هذه لمحة بسيطة وموجزة عن هذه الجزر التي يجهلها الكثيرون استطعت بتوفيق الله ثم بمجهودي الشخصي ومساعدة بعض الأخوة لي أن ألم شتاتها رغم قلة المصادر وشح المعلومات، وبروح الإنسان الذي يحب لوطنه الخير ولأبناء بلاده المعرفة أوجه الدعوة لمن هم أرسخ مني قدماً وأطول مني باعاً في مجالات البحث أن لا يبخلوا بما لديهم، وكم سأكون سعيداً عندما أجد من يفي هذا الجزء من بلادنا العزيزة حقه بحثاً وتدقيقاً وتنقيباً عن معلومات ربما تكون حبيسة الأدراج أو على رفوف مكتبات العالم. ولا أقول حسبي هذا النزر اليسير الذي استطعت جمعه من هنا وهناك، ولكنني اعتبرها نقطة بداية ودعوة مخلصة لرجالات الفكر وحملة الأقلام ورفاق الكلمة. والله من وراء القصد.

الفهرس

رقم الصفحة

المؤلف في سطور:

ابراهيم عبدالله مفتاح



- من مواليد ١٣٥٩هـ بجزيرة فرسان.
- تلقى تعليمه بالكتاب ثم بمدرسة فرسان الابتدائية وتخرج عام ١٣٧٧هـ.
- تخرج من معهد المعلمين الابتدائي عام ١٣٨٠هـ ـ دراسات تكميلية بالطائف ٨٦/١٣٨٧هـ.
- عمل بالتدريس ٢٠ عاما.
- التحق بسكرتارية تحرير مجلة الفيصل لمدة عام.
- ثم عاد إلى التدريس مرة ثانية.
- شارك في أمسيات النادي الأدبي بجيزان.
- صدر له ديوان شعر بعنوان «عتاب الى البحر».
- يعمل الآن وكيلا لمدرسة فرسان الابتدائية.